

أروع ما قيل في الفخر،

الدكتور يحيى شامي



دار الفكر العربي
بيروت



0156405

Bibliotheca Alexandrina

89

أروع ما قيل في الفخر،

أروع ما قيل في الفخر،

الدكتور يحيى شامي



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

Organisation Alexandrine



دار الفكر العربي
بيروت



دار الفكر العربي

الطباعة والنشر

كورنيش المزرعة - مقابل بنك بيروت والرياض
بناية ميدواي سنتر - طابق ٥ - هاتف ٨١٧٢٨٨
عمسب : ١٤/٥٠٧٠ - بيروت، لبنان

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الاولى ١٩٩٢

مطابع يوسف بيضون

تلفون - هاتف : ٨٣٧٦٦٧ - ٨٣٧٤٤٩ - ٤٦٠٧٤٣

المقدمة

الفخر أحد أبرز الأغراض الشعرية التي حفل بها الشعر العربي على امتداد عصوره، باستثناء عصرنا الحديث. وهو يضارع المدح لجهة كونه قائماً على الإشادة بفضائل النفس، وتعداد مآثرها ومناقبها، مع الأخذ بعين الاعتبار أن المدح يتوجه به الشاعر إلى شخص الممدوح الخارج عنه، في ما ينصب الفخر على امتداح الشاعر لنفسه، وتعظيمه صفاتها، وهذا ما يدعى بالفخر الذاتي.

وقد يتجاوز الفخر نطاق الذات ليفخر الشاعر بفضائل قومه، ويطري على أمجادهم، وهو الفخر الجماعي.

وقد يجمع الشاعر بين الفخرين فيكون الفخر ذاتياً وجماعياً، في آن، وهو في جميع أحواله ملتصق أشد الالتصاق بشخصية الشاعر، وتالياً هو نوع من التعبير عن الذات، ومظهر من مظاهر إعجاب الشاعر بنفسه، المفطورة على حب الظهور، والتزوع إلى التفوق والاقتدار.

وبواعث الفخر كثيرة منها الداخلي الصادر عن نفس كبيرة طموح، ومنها الخارجي، وهو الذي تثيره المكاييد والعداوة والانتقاد.

ومعاني الفخر متعددة ومتنوعة، يغلب عليها الطابع التقليدي المعنوي، وإن كان أبرزها، إطلاقاً، الفخر بالشجاعة، والبطولة، وطيب المحتد، والشرف، والسؤدد، والكرم، والحلم، وحصافة الرأي، وشدة عارضة اللسن والفصاحة والبيان، وغير ذلك مما لا يمكن حصره. على أن السمة التي غلبت على الفخر في بعض عهوده، ولا سيما في العهد الجاهلي والإسلامي، كانت تلك التي طبعت الفخر بطابع الحماسة، وهي تتمثل بالتغني بالبطولة، والنجدة، والشجاعة، والإقدام والاندفاع، حتى أن أبا تمام، الشاعر العباسي، لما وضع كتابه الذي جمع فيه أفضل الشعر المتقدم، على اختلاف أغراضه، لم يؤثر عنواناً آخر له أفضل من عنوانه الموسوم بـ: ديوان الحماسة، أي الفخر البطولي الخلفي. هذا الفخر الذي يسمو بالنفس، إلى عل، ويحثها على التمسك بالقيم والمثل والأخلاق.

يستتج من ذلك أن الفخر، وخلافاً لما قد يبادر إلى بعض الأذهان، ليس بالضرورة أن يكون ذلك الفخر الذي يعتوره السقام فهو خلو من الفضيلة، ويحمل طابع الغلو والاعتداد بالنفس والمباهاة، بل ثمة نوع آخر منه، وهو أفضله وأسماءه،

عنيت الفخر الحماسي الذي يهذب النفس، ويهز الأريحية،
ويذكي نار الحماس والقوة والشجاعة والإقدام.

ولقد غلب الفخر على سائر أغراض الشعر العربي الجاهلي
انطلاقاً من غلبة النزعة الفردية والقبلية، ومن وحي الحروب
التي عاشتها القبائل، ومن المنافرات والمناظرات، فكان الفخر
بنوعيه الذاتي والجماعي، وذلك لأن الشاعر هو الناطق بلسان
قومه، وهو المظهر لفضل القبيلة، المبين لمآثرها، الذائد عن
شرفها. وما أكثر شعراء الفخر الذين حفل بهم العصر
الجاهلي، وإن كان أبرزهم الأعشى، وطرفة، وعنترة، ولبيد،
وعمر بن كلثوم.

ولما أن جاء الإسلام تراجع الفخر قليلاً إلى الوراء، إلا ما
حمل منه طابع الحديث عن القيم الخلقية والروحية بوحى من
الدين الجديد، وما استعاد الفخر سابق مجده إلا في العصر
الأموي، على أيدي شعراء الهجاء والنقائص، وعدد من شعراء
الخوارج خاصة.

ومع إطلالة العصر العباسي ضعفت وتيرة الفخر الجماعي،
وبرز نوع من الفخر الذاتي الوجداني ممثلاً بعدد من الشعراء
الأفذاذ أمثال أبي الطيب المتنبي، وأبي فراس، والشريف
الرضي.

ونحن في هذا الكتاب الذي قسمناه إلى ثلاثة أقسام رئيسية

هي : الفخر الذاتي ، والفخر الجماعي ، والفخر المشترك ،
وددنا لو نشرك القارىء في أمر اختيارنا أفضل ما قيل في شعر
الفخر بأنواعه الثلاثة ، ومن هنا كان اسم الكتاب : أروع ما قيل
في الفخر . فإن سرّ قارئنا العزيز ما اخترناه له منه فنعمًا ذلك ،
وإن ساءه ، أو أضربذوقه فمعذرة من الذنب ، واعتذاراً عن سقم
الذوق ، وسوء الاختيار . .

وإلى اللقاء مع غرض آخر من أغراض الشعر الغنائي
العربي .

د . يحيى شامي

الفخر الذاتي

باعث بن صريم

(فلففتها بكتيبة أمثالها)

من الشعر الفخري الجيد، وفيه الاعتداد بالنفس، والتغني بالبطولة والإقدام، قول باعث بن صريم، الشاعر الجاهلي، وهو الذي ثار لمقتل أخيه وائل، قتله بنو تميم، وكان مبعوثاً من قبل عمرو بن هند، ملك اللخمين، فحلف باعث أن يقتل منهم مقتلة عظيمة حتى يملأ دلواً من دمائهم. وهذا ما فعله. يقول باعث^(١):

سائلُ أَسَيْدٍ هل ثارتُ بوائِلُ
أم هل شفيَتْ النفسُ من بَلْبَالِها^(٢)

(١) ديوان الحماسة ٢٠٧/١ - ٢٠٨.

(٢) أَسَيْدٌ، اسم قبيلة. وبلبالها: اهتمامها بطلب الثار.

إِنِّي وَمَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ مَكَانَهَا
 وَالبَدْرَ لَيْلَةً نَصْفِهَا وَهَلَالُهَا^(١)
 أَلَيْتُ أَتَقَفْتُ مِنْهُمْ ذَا لَحْيَةٍ
 أَبَدًا فَتَنْظُرُ عَيْنُهُ فِي مَالِهَا^(٢)
 وَخَمَارٍ غَانِيَةٍ عَقَدْتُ بِرَأْسِهَا
 أَصْلًا وَكَانَ مَنْشَرًا بِشِمَالِهَا^(٣)
 وَعَقِيلَةٍ يَسْعَى عَلَيْهَا قَيْمٌ
 مَتَغَطَّرُسُ أَبْدَيْتُ عَنْ خُلْخُلِهَا^(٤)
 وَكُتَيْبَةٍ سَفَعَ الْوَجْوهَ بِوَاسِلٍ
 كَالْأَسَدِ حِينَ تَذُبُّ عَنْ أَشْبَالِهَا^(٥)
 قَدْ قَدْتُ أَوَّلَ عَنفَوَانٍ رَعِيلِهَا
 فَلَفَقْتُهَا بِكُتَيْبَةٍ أَمْثَالِهَا^(٦)

* * *

(١) سمك السماء: رفعها.

(٢) أليت: حلفت. وأتقف: أظفر. أي هو أقسم أن لا يدع ذا لحية من القوم، أي سيداً كريماً منهم، إلا قتله.

(٣) الغانية: الفتاة الحسنة. وهنا يبين أنه كم من فتاة مباحا أول النهار وقد عقدت خمارها برأسها بعدما كان منشراً بشمالها لحيرتها وخوفها.

(٤) العقيلة: الكريمة من النساء. وهنا يبين كم من عقيلة أغار على حيها فشمرت ساقها هرباً فظهر خلخالها.

(٥) سفع الوجوه: سودها.

(٦) العنفوان: أول الشيء. والرعي: الخيل. والكتيبة: الجيش.

(إن كنت عاذلتي فسيري)

ومن رائع الفخر فخر المنخل بن مسعود الإشكري، الشاعر
الجاهلي الذي نادى النعمان بن المنذر، وهو يفخر بشجاعته
وجوده. يقول المنخل^(١):

إِنَّ كُنْتُ عَاذِلْتِي فَسِيرِي
نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تَحُورِي^(٢)
لَا تَسْأَلِي عَنْ جُلِّ مَالِي
وَأَنْظُرِي كَرَمِي وَخَيْرِي^(٣)
وَفَوَارِسِ كَأَوَارِ حَرِّ النَّارِ
أَحْلَاسِ الذُّكُورِ^(٤)
شَدَّوْا دَوَابَرَ بَيْضِهِمْ
فِي كُلِّ مُحْكَمَةِ الْقَتِيرِ^(٥)

(١) ديوان الحماسة ٢٠٢/١ - ٢٠٦.

(٢) نحوري: ترجعي. وعاذلتي: لائمتي.

(٣) جل الشيء: معظمه. والخير: الكرم.

(٤) وفوارس، أي ربّ فوارس. والأوار: اللظى. وأحلاس الذكور: ملازمون
لظهور الخيل.

(٥) الدوابر: الأواخر. والبيض، جمع بيضة، وهي ما يوضع على الرأس،
وتكون من حديد. والقدير: مسامير الدروع.

واستلأموا وتلببوا
 إنَّ التَّلَبُّبَ للمغير^(١)
 وعلى الجياد المضمَّراتِ
 فوارسٌ مثل الصَّقُورِ
 أقررتُ عيني من أولئك
 والفوائح بالمعير^(٢)
 وإذا الرياحُ تناوحتُ
 بجوانبِ البيتِ الكسير^(٣)
 ألفيتني هشَّ اليدينِ بمُري
 قدحي أو شجيري^(٤)
 ولقد شربتُ من المدامةِ
 بالصَّغيرِ وبالكبير^(٥)
 فإذا انتشيتُ فإنني
 ربُّ الخورنقِ والسدير^(٦)

(١) استلأموا: لبسوا اللامات، أي الدروع. وتلببوا: لبسوا اللب، أي الدروع.

(٢) الفوائح بالمعير، كناية عن النساء.

(٣) تناوحت: هبت من كل ناحية. وهنا، كناية عن الجذب. والكسير: المكسور.

(٤) هش: خفيف. ومري: إجمالة. والقدح: ما يضرب به عند الأصنام. وهنا كناية عن الجود.

(٥) المدامة: الخمرة.

(٦) الخورنق: قصر للنعمان بن المنذر. والسدير: اسم نهر ناحية الحيرة.

وَإِذَا صَحَوْتُ فَلِإِنِّي
رَبُّ الشُّوْهِةِ وَالْبَعِيرِ
* * *

حَسِيلُ الضَّبِّي

(جَعَلْتُ لِبَنَ الْجَوْنِ لِلْقَوْمِ غَايَةً)

انتجع بنو ضبة أرض بني عامر بالشريف فطلبهم بنو عامر،
فسار حسيل بن سجيح الضبي، الشاعر الجاهلي، في أخريات
بني ضبة مانعاً بني عامر من التيل منهم وقال مفتخراً، وقد ذكر
كل صنوف السلاح^(١):

لَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْمَصْبُوحُ أَنِّي
غَدَاةٌ لَقِينَا بِالشَّرِيفِ الْأَحَامِسَا^(٢)
جَعَلْتُ لِبَنَ الْجَوْنِ لِلْقَوْمِ غَايَةً
مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى آضَ أَحْمَرٌ وَارِسَا^(٣)
وَأَرْهَبْتُ أَوْلَى الْقَوْمِ حَتَّى تَنْهَنُوهَا
كَمَا ذَدْتُ يَوْمَ الْوَرْدِ هَيْمًا خَوَامِسَا^(٤)

(١) ديوان الحماسة ٢٢١/١ - ٢٢٣.

(٢) الشريف: اسم ماء لبني نمير بنجد. والأحامس: المتحمسون في الدين،
ويطلق على قريش خاصة، وأحلافها.

(٣) الجون: الفرس الأسود أو الأبيض. واللبنان: الصدر. والورس: نبت
أحمر، وآض: صار.

(٤) تنهئوها: كفوا ورجعوا. والهيم من الدواب. ما أصابها الهوام، وهو داء
يصحبه العطش. والخوامس: العطاش.

بِمَطْرِدٍ لَدُنِ صَحَاحٍ كَعَوْبُهُ
 وَذِي رَوْنِقٍ عَضْبٍ يَقْدُ الْقَوَانِسَا^(١)
 وَبِيضَاءَ مِنْ نَسَجٍ ابْنِ دَاوُدَ نَثْرَةٍ
 تَخَيَّرْتُهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ الْمَلَابِسَا^(٢)
 وَجِرْمِيَّةٍ مَنْسُوبَةٍ وَسَلَاجِمٍ
 خَفَافٍ تَرَى عَنْ حَذِّهَا السُّمَّ قَالِسَا^(٣)
 فَمَا زِلْتُ حَتَّى جَنَنْتِي اللَّيْلُ عَنْهُمْ
 أَطْرَفُ عَنِّي فَارِساً ثُمَّ فَارِسَا^(٤)
 وَلَا يَحْمَدُ الْقَوْمُ الْكَرَامُ أَخَاهُمْ الْعَتِيدَ
 السَّلَاحِ عَنْهُمْ أَنْ يَمَارِسَا^(٥)

* * *

-
- (١) المطرد: الرمح. واللدن: اللين. والكعاب والكعوب: ما يفصل بين عقدتي الرمح. ورونق السيف: ماؤه وحسنه. والقوانس: أعلى بيض الحديد. ويقد: يقطع. والعضب، صفة للسيف.
- (٢) البيضاء، صفة للدروع. وابن داود، يراد به داود نفسه، النبي، وكان يصنع الدروع. والنثرة: المحكمة النسج.
- (٣) الحرمة، صفة للقوس المتخذة من شجر الحرم. والسلاجم: الطوال من السهام.
- (٤) أطرف: أذفع. وجنتي الليل: حال بينهم وبينني.
- (٥) العتيد: المعد السلاح.

عروة بن الورد (ت حوالي ٥٩٦ م)

(يعين نساء الحي ما يستعنه)

ومن أروع الفخر، شعر عروة بن الورد بن زيد بن عمرو
العبيسي، وهو الشاعر الجاهلي المتقدم، وأحد أبرز الشعراء
الفرسان من الصعاليك الأجواد، وكان يلقب بعروة الصعاليك
لجمعه إياهم وقيامه بأمرهم.

يقول عروة فآخرأً بنجدته وشجاعته وخلقه^(١):

لحا الله صعلوكاً إذا جنَّ ليله

مُصافي المشاش ألفاً كلَّ مجزّر^(٢)

يعدُّ الغنى من نفسه كلَّ ليلة

أصاب قراها من صديقٍ ميسر^(٣)

ينامُ عشاءً ثم يصبحُ ناعساً

يحتُ الحصا عن جنبه المتعقر^(٤)

يُعينُ نساءَ الحي ما يستعنه

ويُمسي طليحاً كالبعير المحسر^(٥)

(١) ديوان الحماسة ١/١٥٩ - ١٦١.

(٢) لحا: لعن. والصعلوك: الفقير. والمصافي: المختار الملازم. والمشاش:

العظم الذي يمضغ. والمجزر: موضع نحر الإبل.

(٣) قراها: ضيافتها.

(٤) يحت: يفرك.

(٥) المحسر: المعبي، ومثله الطليح.

ولكن صعلوكاً صفيحة وجهه
 كضوء شهاب القابس المتنور^(١)
 مُطلاً على أعدائه يزجرونه
 بساحتهم زجر المنيح المشهر^(٢)
 إذا بعدوا لا يأمنون اقترابه
 تشوف أهل الغائب المتنظر^(٣)
 لذلك إن يلق المنية يلقها
 حميداً وإن يستغن يوماً فأجدر
 * * *

سلمى بن ربيعة

(وكفيت جانيتها اللتيا والتي)

لسلمى بن ربيعة، من بني السيد بن ضبة، الشاعر
 الجاهلي، والذي فارقت زوجته واسمها تماضر، عاتبة عليه في
 استهلاكه المال وتعريضه النفس للمعاطب، له أبيات فخرية
 رائعة يشيد فيها بمحلّه في الفضل، والعطاء في اليسر والعسر،

(١) القابس: طالب النار. والمتنور: طالب النار من بعيد.
 (٢) المنيح: قذح من قذاح الميسر، ولا حظ له من الريح.
 (٣) تشوف: تطلع. أي أن أعداء الصعلوك يخافونه حتى إذا بعدوا لا يأمنون
 عودته تماماً كما يفعل أهل الغائب المترقب رجوعه.

وفي رأب صدع العشيرة وإصلاح ذات البين. يقول سلمى^(١):

زعمتُ تماضرُ أنني إمّا أمتُ
يسدُّ أَيْنُوها الأصاغرُ خلَّتني^(٢)
تربّت يدالكِ وهل رأيتِ لقومه
مثلي على يسري وحينَ تعلّتي^(٣)
رجلاً إذا ما النائباتُ غشينه
أكفى لمعضلةٍ وإنْ هي جلّت^(٤)
ومناخٌ نازلةٌ كفيّتُ وفارسُ
نهلتُ قناتي من مطاهُ وعلّت^(٥)
وإذا العذارى بالدّخانِ تقنّعتُ
واستعجلتُ نصبَ القدورِ فملّت^(٦)
دارتُ بأرزاقِ العفاةِ مغالِقُ
بيديّ من قمعِ العشارِ الجلّة^(٧)

(١) ديوان الحماسة ٢١٢/١ - ٢١٤.

(٢) أمّا أمت: أصلها: إن أمت. وما: زائدة. والأبنون: تصغير الإبناء. والخلة: الحاجة.

(٣) تربت: أي صار فيها التراب. للتويخ. والتعلة: العسر.

(٤) جلّت: عظمت.

(٥) مناخ مصدر أناخ. والنازلة: الداهية. والنهل: الريّ والامتلاء. والمطاه: الظهر.

(٦) ملّت: عملت الملة، وأدخلت الشيء في الملة، وهي الجمر.

(٧) العفاة، جمع عاف وهو السائل الرزق. والمغالق، جمع مغلق، وهو سهم =

ولقد رأبتُ ثأى العشيرة بينها
وكفيتُ جانبيها اللَّتْيَا والتي^(١)
وصفحتُ عن ذي جهلها ورفدتها
نُصحي ولم تصبِ العشيرة زلتِي
وكفيتُ مولايَ الأحْمُ جريرتي
وحبستُ سائمتي على ذي الخلَّة^(٢)



السليك بن السلكة

(ولكن كل صعلوك ضروب)

ومن جيد الفخر الذاتي ما قاله أحد أشهر صعاليك العرب،
وهو السليك بن السلكة، والسلكة أمه، وكانت سوداء حبشية.
أما السليك فيعد من أغربة العرب، واسم أبيه عمير السعدي.
يقول السليك مفتخراً بنفسه، مشيداً ببطولته، وبإبائه
الضميم^(٣):

== الميسر. والقمع؛ جمع قمعة وهي رأس السنام. والعشار، جمع عشاء
وهي الناقة الحامل لعشرة أشهر.

(١) الرأب: الإصلاح. والثأى: الفساد، واللتيا، تصغير التي، وهما اسمان لما
صغر وكبر من الدواهي.

(٢) المولى: ابن العم. والأحم: القريب. والجريرة: الجناية. والسائمة:
المال الراعي. والخلَّة: الحاجة.

(٣) الكامل في اللغة والأدب ٣١٠/١.

ألا عتبت عليّ فصارمتني
 وأعجبها ذؤو اللمم الطوال^(١)
 فإني يا ابنة الأقوام أربي
 على فعل الرضي من الرجال^(٢)
 فلا تصلي بصعلوك نؤوم
 إذا أمسى يُعدُّ من العبال^(٣)
 ولكن كل صعلوك ضروب
 ينصل السيف هامات الرجال^(٤)
 أشاب الرأس أني كل يوم
 أرى لي خالة وسط الرجال^(٥)
 يشقُّ عليّ أن يلقين ضيماً
 ويعجز عن تخلصهنّ مالي

* * *

(١) صارمتني: هجرتني. وذؤو اللمم، أي الجمم، وهي مقدم شعر الرأس.

(٢) الرضي: الجميل.

(٣) لا تصلي، أي لا تتصلي. والصعلوك: الذي لا مال له. ونؤوم، كناية عن

البلادة والكسل. والعبال، جمع عبل، وهو الضخم من كل شيء.

(٤) هامات الرجال: رؤوسهم.

(٥) الخالة وسط الرجال، إشارة منه إلى أنه كان يتوجع لخلالاته لأنهن كنّ إماء.

(وللجنّ منه شكله وشمائله)

ومن رائع شعر الفخر الذاتي، وألصقه بالوجدان، ذاك الشعر المنسوب إلى عبيد بن أيوب العنبري، وقيل هو لأحد لصوص بني سعد؛ وفي كلا الحالين فإن هذا الشعر ليدخل في صميم الشعر المنسوب إلى الصعاليك، لجهة الحديث عن الذات المتوحدة المتوحشة، والتغني بالبطولة الفائقة. يقول الشاعر^(١):

فإني وتركى الإنس من بعد حُبهم
وصبري عمّن كنت ما إن أزيله^(٢)
لَكَالصَقْرِ جَلَى بَعْدَ مَا صَادَ فَنِيَّةٌ
قَدِيرًا وَمَشُورًا عَيْطًا خِرَادِلَه^(٣)
أَهَابُوا بِهِ فَازْدَادَ بَعْدًا وَصَدُّهُ
عَنِ الْقَرَبِ مِنْهُمْ ضَوْءُ بَرْقٍ وَوَابِلَه^(٤)
أَلَمْ تَرْنِي صَاحِبْتُ صَفَرَاءَ نَبْعَةٍ
لَهَا رِبْدِي لَمْ تُفَلِّلْ مَعَابِلَه^(٥)

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢٠٠/١.

(٢) أزيله: أفارقه، وإن، زائلة للتأكيد.

(٣) خِرَادِلَه، جمع خردل، وهي القِطْع، وعَيْطًا: كان به بلهًا وجنونًا.

(٤) أهابوا به: دعوه.

(٥) النبعة، نوع من الشجر الصلب تتخذ منه القسي. والمعابل، جمع معبلة، =

وطائل اختضاني السيف حتى كأنما
يُلاطُ بكشحي جفنه وحمائله^(١)
أخو فلواتٍ صاحبَ الجَنِّ وانتحي
عن الإنسِ حتى قد تقضتُ وسائله
له نسبُ الإنسيِّ يُعرف نجره
وللجنِّ منه شكُّله وشمائله^(٢)

* * *

تأبط شراً

(إذا سدّ منه منخر جاش منخر)

هو أحد أبرز الشعراء الصعاليك المشهورين في الجاهلية، عرف بفتكه وشجاعته، واسمه في الأصل، ثابت، وكنيته أبو زهير، ولقبه تأبط شراً، لقبته به أمه يوم أن تأبط سكيناً وخرج، فلما سئلت عنه قالت: لا أدري، إنه تأبط شراً. والمهم أن الشاعر له في الفخر والحماسة والاعتداد بالنفس شعر يروق، وهو من أروع الفخر في الشعر العربي. ومن هذا الشعر ما قاله

= وهي السهم الخفيف. والريذي، نسبة إلى ريد، وهو وتر القوس الشديد الحركة عند الاندفاع.

(١) الكشح: ما بين الخاصرة والضلع. ويلاط: يلصق. وجفن السيف: بيته الذي يوضع فيه. وحمائل السيف: ما يعلق به.
(٢) نجره: أصله وحسبه، والشمائل: الصفات.

يوم أن حاول قوم من بني لحيان، من هذيل، أن يأسروه فما استطاعوا إليه سبيلاً، فقال^(١):

إذا المرء لم يحتلّ وقد جدّ جدّه
أضاع وقاسى أمره وهو مدبر^(٢)
ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلاً
به الخطب إلاّ وهو للقصد مبصر^(٣)
فذاك قريع الدهر ما عاش حوّل
إذا سدّ منه منخر جاش منخر^(٤)
أقول للحيان وقد صفرت لهم
وطايي ويومي ضيق الحجر معور^(٥)
هما خططنا إما إसारاً ومنّة
وإما دمً والقتل بالحرّ أجدر^(٦)

(١) ديوان الحماسة ١٧/١ - ١٨ .

(٢) يريد أن يقول إنه إذا نزل به مكروه ولم يجد ناصراً له فسيبيله أن يحتال له .

(٣) الخطب: الأمر الشديد . وصاحب الحزم هو الذي يستعد للخطب قبل نزوله .

(٤) القريع: المجرب للأمور . والحوّل: البصير بها . وقوله: إذا سدّ منه منخر

جاش منخر، كناية عن قدرته على الخلاص من الشدة .

(٥) لحيان: بطن من هذيل . و صفرت: خلت . والوطاي: أسقية اللبن،

ومفردها وطب . وهنا إشارة إلى وطب العسل الذي صبه على الصخر

ووضع نفسه عليه، فنجا من القوم .

(٦) الإसार: الأسر . ومعنى ذلك أن ثمة أمرين إما الأسر والتزام المنّة، وإما

القتل، وهو المراد .

وأخرى أصادي النفس عنها وإنها
 لمورد حزم إن فعلت ومصدر^(١)
 فرشت لها صدري فزل عن الصفا
 به جؤجؤ عبل ومتن مخصر^(٢)
 فخالط سهل الأرض لم يكدر الصفا
 به كدحة والموت خزيان ينظر
 فأبت إلى فهم ولم أك آيباً
 وكم مثلها فارقتها وهي تصفر^(٣)

* * *

(يرى الوحشة الأنس الأنيس)

ومن أروع فخر تأبط شرا، وهو يعتبر من عيون شعر
 الصعلكة والفتك، قوله^(٤):

واني لمهد من ثنائي فقاصد
 به لابن عم الصديق شمس بن مالك^(٥)

(١) أصادي: أداري.

(٢) الجؤجؤ: الصدر. والعبل: الضخم. والمخصر: الدقيق. والمتن: الظهر.

(٣) فهم، اسم قبيلة، وتصفر، كناية عن الأسف.

(٤) ديوان الحماسة ٢٢/١ - ٢٣.

(٥) شمس بن مالك، ابن عم الشاعر.

أهزُّ به في ندوة الحيِّ عطفَه
كما هزُّ عطفِي بالهجانِ الأوارك^(١)
قليلُ التشكِّي للمُهمِّ يُصيبُه
كثيرُ الهوى شتى النوى والمسالِك
يظلُّ بمَومةٍ ويُمسي بغيرها
جحيشاً ويعروري ظهورَ المهالك^(٢)
ويسبقُ وفدَ الريحِ من حيثُ يتحي
بمنخرقٍ من شِدِّه المتدارك^(٣)
إذا حاصَّ عينيه كرى النومِ لم يزل
له كاليءٍ من قلبِ شيحانٍ فاتك^(٤)
ويجعلُ عينيه ربيئةً قلبه
إلى سلَّةٍ من حدِّ أخلقِ صائك^(٥)

(١) العطف: الجانب. وندوة الحي: مجتمعه. والهجان: الإبل الكريمة.

والأوارك، التي ترعى الأراك، الشجر المعروف الذي يتخذ منه السواك.

(٢) المومة: الأرض الخالية من الماء والشجر. والجحيش: المتوحش

المنفرد. ويعروري: يرتكب المهالك. وهنا يصور الشاعر تفرد وكثرة

تجواله في الأفاق، بحماسة وجراءة.

(٣) وفد الريح: أولها. ويتحي: يقصد. والمنخرق: الواسع والمتسارع.

(٤) حاص: خاط. والكرى: النوم الخفيف. والشيخان: الحازم والفاتك:

الذي يفتك بالآخرين فجأة.

(٥) الربيئة: الرقيب. والسلَّة، الواحدة من سلَّ السيف، أي تجريده:

والأخلق: الأملس. والصائك: القاطع.

إذا هزّه في عظمِ قِرْنٍ تهلّلتُ
نواجذُ أفواهِ المنايا الضّواحك^(١)
يرى الوحشةَ الأنسَ الأنيسَ ويهتدي
بحيثُ اهتدتُ أمُ النجومِ الشوابك^(٢)

* * *

عنترة (ت حوالي ٦١٥ م)

(ولقد أبيت على الطوى)

ومن جيد الفخر وأشهره فخر عنترة العبسي، الشاعر
الجاهلي المعروف، وأحد أصحاب المعلقات، بشجاعته
وخلقه، ونجدته وسرعة إقدامه. فلقد انهزمت بنو عبس أمام
بني تميم، وسيدهم يومئذ قيس بن زهير، فانبرى عنترة يحامي
عن الناس فلم يصب منهم مدبر. فقال قيس: والله ما حمى
الناس إلا ابن السوداء - أي عنترة - ولقد أشار عنترة إلى هذه
الواقعة فقال مفتخراً^(٣):

إنني امرؤٌ من خيرِ عبسٍ منصباً
شطري وأحمي سائري بالْمُنْصَلِ^(٤)

(١) القرن: البطل الشجاع. والنواجذ: الأسنان.

(٢) أم النجوم، كناية عن الشمس، أو المجرة. ومعنى ذلك أنه يأنس بالوحدة
ويهتدي إلى مقصده كما النجوم.

(٣) ديوان عنترة ص ٥٧ - ٥٨ دار بيروت - دار صادر بيروت ١٩٦٦ م.

(٤) المنصل: السيف.

ولقد أبيتُ على الطوى وأظله
حتى أنالَ به كريمَ المأكَلِ^(١)
وإذا الكتيبةُ أحجمتُ وتلاحظتُ
ألفيتُ خيراً مِن مُعَمِّ مُخَوَلِ^(٢)
والخيلُ تعلمُ والفوارسُ أنني
فرقتُ جمعهم بِطعنةٍ فيصلِ^(٣)
بكرتُ تخوِّفني الحتوفُ كأنني
أصحتُ عن غرضِ الحتوفِ بمعزلِ^(٤)
فأجبتها: إنَّ المنيَّةَ منهلُ
لا بدُّ أنْ أسقى بكأسِ المنهلِ
فأقني حياءك لا أبأ لك واعلمي
أني امرؤُ سأموتُ إنْ لم أقتلِ^(٥)
إن المنيَّةَ لو تمثَّل مُثَلتُ
مثلي إذا نزلوا بضنكِ المنزلِ^(٦)

(١) الطوى: الجوع.

(٢) المعَمِّ: المنسوب إلى العم. والمخول: من يتباهى بخاله. والكتيبة: القطعة من المسكر.

(٣) الفيصل: السيف.

(٤) الحتوف: المنايا، جمع حتف.

(٥) اقني: وفري.

(٦) ضنك المنزل، شدته، كناية عن العسر والهول.

والخيلُ ساهمةُ الوجوه كأنما
تُسقى فوارسُها نقيعَ الحنظل^(١)
وإذا حُمِلْتُ على الكريهة لم أقلُ
بعدَ الكريهة ليتني لم أفعل^(٢)

* * *

(ليس الكريم على القنا بمحرّم)

ومن جيد فخر عنترة وأروعه، ذلك الفخر البطولي الذي
تضمنته معلقته المشهورة، وهو زاخر بالفروسية والبطولة
والشجاعة وأسمى الأخلاق والمناقب والفضائل. يقول عنترة
مخاطباً عبلة، حبيبته^(٣):

أثني عليّ بما علمت فلإنني
سمح مخالطتي إذا لم أظلم^(٤)
فإذا ظلمت فلإن ظلمي باسل
مرّ مذاقته كطعم العلقم
فإذا شربت فلإنني مستهلك
مالي وعرضي وافر لم يكلم

(١) الحنظل، نبات شديد المرورة.

(٢) الكريهة: صفة للحرب.

(٣) المعلقات العشر ص ١٤٦ - ١٥٧.

(٤) المخالطة: المعاشرة.

وإذا صحوت فما أقصّر عن ندى
 وكما علمت شمائي وتكرمي
 وحليل غانية تركت مجدلاً
 تمكوفريسته كشدق الأعلم^(١)
 سبقت يداي له بعاجل طعنه
 ورشاش نافذة كلون العندم^(٢)
 هلاً سألت الخيل يا ابنة مالك
 إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
 يخبرك من شهد الوقعة أنني
 أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم
 ومدجج كره الكمأة نزاله
 لا ممعن هرباً ولا مستسلم
 جادت له كفي بعاجل طعنة
 بمثقف صدق الكعوب مقوم^(٣)
 فشككت بالرمح الأصم ثيابه
 ليس الكريم على القنا بمحرّم

(١) الحليل: النروج. والغانية: المرأة الشابة الجميلة. وتمكوف: تصفر.

والأعلم: صفة للجمل المشقوق الشفة العليا.

(٢) العندم: نبت أحمر اللون.

(٣) المثقف، صفة للرمح. والمقوم: المستقيم.

لما رأيت القوم أقبل جمعهم
يتذاكرون كررت غير مذمّم^(١)
يدعون عترة والرماح كأنها
أشطان بشر في لبان الأدهم^(٢)
ما زلت أرميهم بشجرة نحره
ولبانه حتى تسربل بالدم
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها
قيل الفوارس ويك عترة أقدم

* * *

أبو كبير الهذلي

(فأنت به حوش الفؤاد مبطناً)

أبو كبير الهذلي، واسمه عامر بن حليس، شاعر من شعراء
الجاهلية، أدرك الإسلام فأسلم، وله في الفخر قطع رائعة منها
هذه الأبيات التي يفتخر فيها بشجاعته ومروءته ونجدته.

ويقال إن سبب هذه الأبيات أنه كان تزوج أم تأبط شرا،
الشاعر الصعلوك المشهور، وكان هذا لا يزال صغيراً، فتنكر

(١) يتذاكرون: يدعو بعضهم بعضاً للقتال.

(٢) الأشطان: الحبال. والأدهم، صفة للفرس الأسود. واللبان: الصدر.

لأبي كبير لما رآه يكثر الدخول على أمه، فارتاب أبو كبير للأمر، ولم يأمن الولد على نفسه فاحتال عليه، بأمر من أمه حتى يقتله فوجهه للغزو، فقصد ناراً وعليها رجلان من لصوص العرب، فقتلها تابط شرا، وأخذ خبزهما، فخاف أبو كبير منه، فخلف أن لا يقرب أم هذا الغلام الصعلوك، فقال هذه الأبيات، وهي التالية^(١):

ولقد سريت على الظلام بِمَغْشَمٍ
جلدٍ مِنَ الْفَتِيَانِ غَيْرِ مَثْقَلٍ^(٢)
مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهْنٌ عَوَاقِدُ
حُبِّكَ النِّطَاقُ فَشَبَّ غَيْرَ مَهْبِلٍ^(٣)
ومبرئٍ من كلِّ غَبَرٍ حَيْضَةٍ
وفسادٍ مَرْضَعَةٍ وِذَاءِ مُغِيلٍ^(٤)
حملتْ به في لَيْلَةٍ مَرُودَةٍ
كَرْهًا وَعَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يَحْلُلِ^(٥)

(١) ديوان الحماسة ١٩/١ - ٢١.

(٢) المغشم: الذي يمضي في الأمر على غير نظر. والجلد: الصبور.

(٣) حبك النطاق: طرائق النساء وملابسهن، والمهبل، من الهبل، وهو فقد الأم لولدها.

(٤) معنى ذلك أن أمه حملت به وهي طاهرة من الفساد والحيض.

(٥) معنى ذلك أن الولد جاء نجياً. والمرودة، من الراد، وهو الفزع.

فَأَتَتْ بِهِ حَوْشَ الْفؤَادِ مَبْطَنًا
 سَهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوَجْلِ^(١)
 مَا إِنَّ يَحْسُ الْأَرْضَ إِلَّا مِنْكَبُّ
 مِنْهُ وَحَرْفُ السَّاقِ طَيُّ الْمَحْمَلِ
 وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفَجَاجَ رَأَيْتَهُ
 يَهْوِي مَخَارِمَهَا هُبُوبِي الْأَجْدَلِ^(٢)
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أَسْرَةٍ وَجْهِهِ
 بَرَقَتْ كِبَرِقِ الْعَارِضِ الْمُتَهَلِّلِ^(٣)
 صَعْبُ الْكِرِيهَةِ لَا يُرَامُ جَنَابُهُ
 مَاضِي الْعَزِيمَةِ كَالْحَسَامِ الْمَقْصَلِ
 يَحْمِي الصَّعَابَ إِذَا تَكُونُ عَظِيمَةً
 وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا فَمَاوَى الْعَيْلِ^(٤)

* * *

(١) حَوْشُ الْفؤَادِ: ذِكِي الْفؤَادِ. مَبْطَنًا: خَمِيصُ الْبَطْنِ. وَالسَّهْدُ: النَّائِمُ.
 وَالْهَوَجْلُ: الثَّقِيلُ.

(٢) الْأَجْدَلُ: الصَّقْرُ. وَالْمَخَارِمُ: مَقْطَعَاتُ الْجِبَالِ. وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ صَاحِبُ
 هِمَّةٍ فِي الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ.

(٣) أَسْرَةُ وَجْهِهِ: خَطْوَتُهُ.

(٤) الْعَيْلُ: جَمْعُ عَائِلٍ، وَهُوَ الْفَقِيرُ. وَهَذَا يَصِفُهُ بِالشَّجَاعَةِ.

(ومن يفتقر في قومه يحمده الغنى)

ومن أروع الفخر وجيده فخر جابر بن الثعلب الطائي .
وشعره يقرب من شعر الصعاليك ، وهو لا يخلو من رنة ألم ،
وخلق ، وحكمة ، ومن نزوع إلى المثال . يقول جابر^(١) :

وقام إليّ العاذلات يَلْمَنِي
يَقْلَنَ أَلَا تَنْفَكُ تَرْحَلُ مَرْحَلًا^(٢)
فإنّ الفتى ذا الحزم رام بنفسه
جواشنَ هذا الليل كي يتموّلا^(٣)
ومن يفتقر في قومه يحمده الغنى
وإنّ كان فيهم واسط العمّ مُخولا^(٤)
ويُزري بعقل المرء قلّة ماله
وإنّ كان أسرى من رجالٍ وأحولا^(٥)
كأنّ الفتى لم يعر يوماً إذا اكتس
ولم يك صُعلوكاً إذا ما تمّولا

(١) ديوان الحماسة ١٠٩/١ - ١١٠ .

(٢) أي إنهن ينكرن عليه كثرة ارتحاله وتجوّاله في البلاد .

(٣) جواشن ، جمع جوشن ، وهو الصدر والأول من الشيء .

(٤) واسط العم : كريمه . ومثله المخول ، فهو كريم المخل .

(٥) أسرى : أشرف . والأحول : الأكثر حيلة .

ولم يكُ في بؤسٍ إذا باتَ ليلةً
يناغي غزالاً فاترَ الطَّرفِ أكحلا
إذا جانبُ أعيالك فاعمدْ لجانبٍ
فلإنك لاقٍ في بلادٍ معولا^(١)

* * *

===== عمرو بن معديكرب (ت حوالي ٢٠ هـ / ٦٤٣ م)

(ظلمت كآني للرماح دريئة)

ومن أروع الفخر ما قاله عمرو بن معديكرب الزبيدي،
الشاعر الجاهلي والإسلامي، من المخضرمين، والمقدمين في
الشدة والسؤدد والفروسية. ولقد دافع عن المسلمين، وشهد
الكثير من الوقائع والحروب، يقول عمرو مفتخراً^(٢):

ولمّا رأيتُ الخيلَ زوراً كأنّها
جداولُ زرعٍ أرسلتُ فاسبطرتُ^(٣)
فجاشتُ إليّ النفسُ أولَ مرّةٍ
فردّتُ على مكروهاها فاستقرتُ^(٤)

(١) المعول: ما يعول عليه ويوكل الأمر إليه.

(٢) ديوان الحماسة ١/ ٤٤ - ٤٥.

(٣) اسبطرت: امتدت. والزور، جمع زوراء، وهي المائلة.

(٤) جاشت: اضطربت من الفزع.

علامَ تقولُ الرمحُ يُثقلُ عاتقي
 إذا أنا لم أظعنُ إذا الخيلُ كُرتْ
 لحا اللهُ جرماً كلما ذرَّ شارقُ
 وجوةُ كلابٍ هارشتْ فازبأرت^(١)
 فلم تُغنِ جرمُ نهدها إذ تلاقتا
 ولكنَّ جرماً في اللقاءِ ابذعرت^(٢)
 ظيلتُ كأتني للرماحِ دريئةُ
 أقاتلُ عن أبناءِ جرمٍ وفرت^(٣)
 فلو أن قومي أنطقنني رماحهم
 نطقتُ ولكنَّ الرماحَ أجرت^(٤)

* * *

(وبقيت مثل السيف بردا)

ومن جيد فخر عمرو، أيضاً، ما قاله في اليوم الذي جرى
 بين قومه وأحلافهم من جرم، من جهة، وبين بني الحرث بن

(١) لحا: قبح ولعن. وذرّ: طلع. والشارق: الشمس. وجرم: اسم قبيلة. وازبأرت: تهيأت للقتال.

(٢) نهدها، أي قبيلة نهد. وابدعرت: تفرقت.

(٣) دريئة: عرصة.

(٤) أجرت: شقت لسان الفصيل لئلا يرضع ثدي أمه الناقة. ومعنى البيت أنهم لو أبلوا في الحرب بلاء حسناً لمدهم وذكر بلاءهم.

كعب وحليفاتها نهـد، من جهة ثانية، يقول عمرو مفتخراً بمنـاقبه وشجاعته، وبـنفسه العاشقة البطلة^(١) :

ليس الجمالُ بمثزِرٍ فاعْلَمْ وإنْ رُدِّيتَ بُردا
إنَّ الجمالَ معادنٌ ومنـاقِبٌ أورثنْ مجدا
أعددتُ للحدثانِ سـابغةً وعداءَ علنـدي^(٢)
نهداً وذا شطبٍ يقدُّ البيضَ والأبدانَ قدّاً^(٣)
وعلمتُ أني يومَ ذاكِ مُنازلُ كعباً ونهداً^(٤)
قومٌ إذا لبسوا الحديدَ تنمروا حلقاً وقدّاً^(٥)
لما رأيتُ نساءنا يفحصن بالمعزاةِ شداً^(٦)
وبدتُ لميسُ كأنها بدرُ السماءِ إذا تبدى
نازلتُ كبشهم ولم أر من نزالِ الكبشِ بدّاً^(٧)
هم يـنـذرون دمي وأنذرُ إنْ لقيتُ بأنْ أشداً

(١) ديوان الحماسة ١/ ٥٠ - ٥٢.

(٢) الحدثان: حوادث الدهر. والسابغة: الدرع الواسعة. والعداء: الفرس السريع. والعلندي: الشديد.

(٣) نهد: ضخم. والشطب: طرائق السيف. والقـد: القـطـع طـولاً. والبيض، ما يوضع على الرأس من الحديد.

(٤) كعب ونهد، قبيلتان.

(٥) تنمروا: صاروا كالتمور. والحلق: الدروع. والقـد: الدرع. وهنا يعظم من شأن الخصم تعظيماً لشأنه.

(٦) المعزاة: الأرض الصلبة.

(٧) الكبش: السيد والرئيس.

كم من أخٍ لي صالح بوأته بيديّ لحدا^(١)
ما إنْ جَزَعْتُ ولا هَلَعْتُ ولا يَرُدُّ بكاي زندا^(٢)
أَلْبَسْتُهُ أَثْوَابَهُ وَخُلِقْتُ يَوْمَ خُلِقْتُ جَلْدًا^(٣)
أَغْنِي غَنَاءَ الذَّاهِبِينَ أَعْدُ لِلْأَعْدَاءِ عَدَا^(٤)
ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبُهُمْ وَبَقِيْتُ مِثْلَ السِّيفِ فَرْدًا
ومن جيد فخر عمرو بن معديكرب، أيضاً، قوله:

ولقد أجمعُ رجليُّ بها
حذرَ الموتِ وإنِّي لَفَرُورُ
ولقد أعطفُها كارهةً
حينَ للنفسِ منَ الموتِ هَرِيرُ
كلُّ ما ذلِكَ مِنِّي خُلُقُ
ويكلِّ أنا في الرُّوعِ جَدِيرُ^(٥)

* * *

(١) بوأته: أنزلته. واللحد: جانب القبر.

(٢) هلعت: جزعت كثيراً.

(٣) جلدًا: قوياً شديداً.

(٤) الغناء: النفع.

(٥) ديوان الحماسة ٥٢/١. والروع: اللقاء في الحرب. والهريز: الصوت

القوي. وأعطفها: أميلها. والفرور: الذي يفرّ ثم يكرّ على الأعداء.

(فدعوا نزالَ فكنْتُ أولَ نازلِ)

عَمَرُ ربيعة بن مقروم، وهو الشاعر الجاهلي، حتى أدرك الإسلام فشهد جلولا أيام عمر بن الخطاب، وبعد ربيعة من الشعراء والفرسان المشار إليهم في مضر، وكانت عبد القيس قد أسرته، ثم أطلقت سراحه ومُنّت عليه بعد ذلك، فقال من جيد الفخر وأروعه^(١):

ولقد شهدتُ الخيلَ يومَ طرادِها
يسليمٍ أوظفَ القوائمِ هيكَلِ^(٢)
فدَعَوْا نزالَ فكنْتُ أولَ نازلِ
وعلامَ أركبُه إذا لم أنزلِ^(٣)
والدُّ ذِي حنقٍ عليَّ كأنما
تَغلي عداوةُ صدرِه في مِرْجلِ^(٤)

(١) ديوان الحماسة ١٤/١.

(٢) هيكَل: كبير ضخم، وهو صفة للفرس. والأوظفة: جميع وظيف، وهو مستلق الذراع والساق من الخيل وغيرها. وهنا يصور لنا كيف أن فرسه سليم معافى من العيوب.

(٣) نزال: اسم فعل، ومعناه: إنزل.

(٤) المِرْجل: القدر الكبيرة. والألد: الشديد الخصومة. والحنق: الغيظ.

أرجيته عني فأبصر قصده
وكوته فوق النواظر من عل^(١)

* * *

(بمثلي فاشهد النجوى)
ولريعة من الفخر الجيد، أيضاً، قوله^(٢):
وكننت إذا قريني جاذبته
حبالي مات أو تبع الجذابا^(٣)
فإن أهلك فذي حنق لظاه
علي تكاد تلتهب التهابا^(٤)
مخضت بدلوه حتى تحسى
ذنوب الشر ملأى أو قرابا^(٥)
بمثلي فاشهد النجوى وعالن
بي الأعداء والقوم الغضابا

(١) أرجيته: أخرته وصرفته.

(٢) ديوان الحماسة ٢١٠/١ - ٢١١.

(٣) أي إن حبالي محكمة القوى يجاذب بها خصمه فيموت قبل الوصول إليه.

(٤) الحق: الغضب. وذي حنق، أي: رُبّ ذي حنق.

(٥) مخضت: حركت. والتحسى: الشرب شيئاً فشيئاً. والذنوب: الدلو.
والمعنى أن خصمه أراد به الشر فسقاه منه.

فإنَّ المُوْعِدِيَّ يروُنْ دوني
أسودَ خفيَّة الغُلْب الرِّقابا
كأنَّ علي سواعدِهِنَّ ورْساً
علا لونَ الأشاجعِ أو خضابا^(١)

* * *

حطان بن المعلى

(فليس لي مال سوى عرضي)

ومن جيد الفخر، وأصدقه، وآلمه معاً، فخر حطان بن
المعلى الشاعر الإسلامي بالحفاظ على خلقه وعرضه، رغم
الفقر والإملاق. يقول حطان^(٢):

أنزلني الدهرُ على حكمه
مَنْ شامخٍ عالٍ إلى خَفَضٍ^(٣)
وغالني الدهرُ بوفرِ الغنى
فليس لي مالٌ سوى عرضي^(٤)

(١) خفية، اسم مكان تكثر فيه الأسود. والغلب: الغلاظ الرقاب.

والأشاجع: عروق ظاهر الكف.

(٢) ديوان الحماسة ١٠٠/١ - ١٠٢.

(٣) الخفض، خلاف العالي، كناية عن الضعف.

(٤) غالني: أصابني وأهلكني.

أبكاني الدهرُ ويا ربّما
أضحكني الدهرُ بما يُرضي
لولا بنياتُ كزُغبِ القطا
رُدَدَنَّ مِنْ بعضٍ إِلَى بعضٍ^(١)
لكان لي مضطربٌ واسع
في الأرضِ ذاتِ الطولِ والعرضِ^(٢)
ولأنما أولادُنا بيننا
أكبادُنا تمشي على الأرضِ
لو هبَّتْ الرِّيحُ على بعضهم
لامتنعتْ عيني مِنَ الغمضِ

* * *

حاتم الطائي (ت ٤٦ هـ / ٦٦٨ م)

(جواد إذا ما النفس شخّ ضميرها)

عرف حاتم بن عبد الله الطائي القحطاني، الشاعر الجاهلي الذي أدرك الإسلام، وأحد فرسان العرب وأجوادهم المعدودين الذين ذكروا بالكرم ومدحوا بالسخاء والجود، وبه

(١) بنيات: تصغير بنات. والزغب: لين الشعر وأصغره، كناية عن صغر سنهن.

(٢) المضطرب: الاضطراب والتقل.

يضرب المثل. حاتم هذا قال من جيد الفخر بالكرم والندى
والسخاء^(١):

إذا ما بخيلُ الناسِ هَرَّتْ كلابُهُ
وَشَقَّ عَلَى الضَّيْفِ الغَرِيبِ عَقُورُهَا^(٢)
فإنِّي جبانُ الكلبِ بيتي موطأً
جوادٌ إذا ما النفسُ شَحَّ ضميرها^(٣)
ولكنْ كلابي قد أَقَرَّتْ وَعُودَتْ
قليلٌ على مَنْ يعتريها هريرها

* * *

عوف بن الأبرص

(إذا خمد النيران لاح بشيرها)

وقريب من المعنى السابق، وفي جودته وروعته ما قاله
عوف بن الأبرص مفتخراً بكرمه وبناره التي لا تطفأ يشبها
للضيفان^(٤):

ومستنجحٍ يخشى العداة ودونه
مِنَ الليلِ باباً ظلمة وستورها^(٥)

(١) الحيوان ٢١١/١.

(٢) هَرَّتْ: نبحت. وشَقَّ: عسر وصعب. وعقورها: المؤذي منها.

(٣) موطأ: مرتاد. وشَحَّ: قل.

(٤) الحيوان ٢١٥/٥.

(٥) المستنجح: من يحرض الكلاب على التباح ليعرف منازل القوم.

رفعتُ له ناراً فلما امتدى بها
 زجرتُ كلابي أن يهرُ عقورُها^(١)
 فلا تسأليني واسألني عن خليقتي
 إذا ردُّ ما في القدرِ مَنْ يستعيرها^(٢)
 تري أن قدري لا تزالُ كأنها
 لذي الغرثِ المقرورِ أم يزورها^(٣)
 مبرزة لا يجعلُ السترُ دونها
 إذا خمد النيرانُ لآخَ بشيرها
 إذا الشولُ راحت ثم لم يفدَ لحمها
 بألبانها ذاقَ السنانَ عقيرها^(٤)

* * *

ابن زرارة الكلبي

(بضرب الطلا والهام حق عليم)

ومن الفخر الرائع ما قاله عبد العزيز بن زرارة الكلبي،
 الشاعر الإسلامي، وهو يفخر بنفسه وكرمه وشجاعته، وفخره لا

(١) زجرت: دفعت. والعقور: أشدها بأساً.

(٢) الخليقة: الطبع.

(٣) الغرث: الجائع. والمقرور: البردان.

(٤) الشول: النوق.

يخلو من نصفه وواقعية . يقول ابن زرارة^(١) :

وإلا أكنُ مما علمتَ فإنني
إلى نسبٍ مما جهلتَ كريم
وإلا أكنُ كلَّ الجوادِ فإنني
على الزادِ في الظلماء غيرُ شتيم^(٢)
وإلا أكنُ كلَّ الشجاعِ فإنني
بضربِ الطُّلا والهَامِ حقُّ عليم^(٣)

* * *

أبو الشناش

(ومن يسأل الصعلوك أين مذهبُه)

ومن أروع الفخر، وأغناه بالحكمة، وأزخره بالعاطفة
الصادقة فخر أبي الشناش، وهو شاعر إسلامي، ولصَّ
صعلوك من صعلوك بني تميم، في زمن الأمويين، يقول أبو
الشناش مفتخرًا^(٤):

(١) ديوان الحماسة ٩٩/١.

(٢) شتيم، أي مشتم. ويبين هنا أنه يهش للضيف فهو لا يسب ولا يشتم.
والظلماء، كناية عن الجذب والفقر والحاجة.

(٣) الهام: الرؤوس، جمع هامة. والطلا: الأعناق.

(٤) ديوان الحماسة ١١٥/١ - ١١٧.

إذا المرء لم يسرخ سواماً ولم يُرخ
 سواماً ولم تعطف عليه أقاربُهُ^(١)
 فَلَلَمُوتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى مِنْ قَعُودِهِ
 عديماً ومن مولى تدبُّ عقاربِهِ^(٢)
 ونائية الأرجاء طامسة الصُّوى
 حَدَّتْ بِأَبِي النُّشْنَشْرِ فِيهَا رِكَائِبُهُ^(٣)
 ليكسبَ مجدداً أو ليدركَ مغنماً
 جزيلاً وهذا الدهرُ جُمُ عجائبهِ
 وسائلةٍ بالغَيْبِ عَنِّي وسائلٍ
 وَمَنْ يَسْأَلُ الصَّعْلُوكَ أَيْنَ مَذاهِبِهِ
 فلم أرَ مثلاً للفقرِ ضاجعه الفتى
 ولا كَسْوَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ طَالِبِهِ
 فِعِشْ معدماً أو متَّ كريماً فإنني
 أرى الموتَ لا ينجو من الموتِ هارِبِهِ
 ولو كان حيٌّ ناجياً مِنْ مَنِيَّةِ^(٤)
 لكان أثيراً حينَ جَدَّتْ رِكَائِبُهُ

(١) يسرخ: يذهب صباحاً. والسوام: الماشية. ويرح: يعد مساء.

(٢) تدب عقاربهِ، كناية عن السعي في الأذى. والعديم: الفقير.

(٣) الصوى: الأعلام. وخذت: أسرع. والركائب: الرواحل، وما يركب. والنائية، صفة للمفازة القفر.

(٤) جدت ركائبه: أسرع. والمعنى واضح في أن الصعلوك الذي يطلب =

(ولم يرض إلا قائم السيف صاحباً)

ومن أروع الفخر وأشدّه حماسة، ما قاله سعد بن ناشب
التميمي، الشاعر الإسلامي، وكان أصاب دماً فهدم بلال بن
أبي بردة داره بالبصرة ثم أحرقها، فقال هذه الأبيات الحماسية
الرائعة^(١):

سأغسلُ عَنِّي العارَ بالسيفِ جالباً
عليّ قضاءَ اللَّهِ ما كانَ جالباً^(٢)
وأذهلُ عن داري وأجعلُ هدمها
لِعِرضي من باقي المَذْمَةِ حاجباً^(٣)
ويصغرُ في عيني بِلادي إذا أنشئتُ
يمني بِلادراكِ الذي كنتُ طالباً^(٤)
فإن تهدموا بالغيرِ داري فإنّها
تراثُ كريمٍ لا يُبالي العواقبُ

== المجدد، ويسمى إليه في الليل هو أجدر بذلك.

(١) ديوان الحماسة ١٥/١ - ١٦. وانظر: زهر الآداب ٢١٣/١.

(٢) العار: العيب والسوء.

(٣) أذهل عن داري: أتركها. والمذمة: الذم والعيب.

(٤) التلاد: المال القديم المتوارث.

أخي غمراتٍ لا يريدُ على الذي
 يهْمُ به من مَفْطَحِ الأمرِ صاحباً^(١)
 إذا همَّ لم تُردِّعْ عَزِيمَةً هَمِّهِ
 ولم يأتِ ما يأتي من الأمرِ هائباً^(٢)
 فيا لِرِزَامٍ رَشَحُوا بي مقدِّماً
 إلى الموتِ خوَّاضاً إليه الكتائباً^(٣)
 إذا همَّ ألقى بينَ عينيه عزمه
 ونكَّبَ عن ذكرِ العواقبِ جانباً^(٤)
 ولم يستشِرْ في رأيه غيرَ نفسه
 ولم يرض إلا قائمَ السيفِ صاحباً

* * *

=====

الطرمّاح (ت ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م)

(بفيض إلى كل امرئ غير طائل)

يعتبر الطرمّاح من ألمع شعراء الخوارج وأفصحهم في
 العصر الإسلامي، وهو الطرمّاح بن حكيم، والذي ينتهي نسبه

(١) الغمرات: الشدائد.

(٢) تردع: تزجر. وهائباً: خائفاً.

(٣) رزام: حي من تميم، نسبوا إلى جدهم رزام بن مالك بن حنظلة. واللام
 في (رزام) للاستغناء.

(٤) نكب: انحرف.

إلى طيء، القبيلة العربية المعروفة، ومن جيد فخر الطرماح قوله^(١):

لقد زادني حباً لِنَفْسِي أَنِّي
بغِيضٌ إلى كُلِّ امرئٍ غير طائلٍ
وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللَّئَامِ وَلَا تَرَى
شَقِيّاً بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ^(٢)
إِذَا مَا رَأَنِي قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ
وَبَيْنِي فَعَلَ الْعَارِفُ الْمُتَجَاهِلُ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَتْهَا
مِنَ الضُّيْقِ فِي عَيْنِهِ كِفَّةٌ حَابِلِ^(٣)
أَكُلُ امْرِئٍ أَلْفَى أَبَاهُ مَقْصُوراً
مَعَادٍ لِأَهْلِ الْمَكْرَمَاتِ الْأَوَائِلِ
إِذَا ذُكِرْتُ مَسْعَاءُ وَالِدِهِ اضْطَنَى
وَلَا يَضْطَنِي مِنْ شَتْمِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ^(٤)

(١) ديوان الحماسة ٧٦/١ - ٧٧.

(٢) الشمائِل: الطبائع والصفات الحميدة.

(٣) كفة الحابل: الحفرة التي تنصب فيها الجباله، فهي كالطوق. والحابل: صاحب الجباله.

(٤) المسعاة: السعي. واضطنّى، تعب وضعف.

وما مُنعتُ دارٌ ولا عزٌّ أهلُها
مِن الناسِ إلَّا بالقنا والقنابل^(١)

* * *

ابن حبناء

(ولا تعجلي باللوم يا أم عاصم)

ومن أروع الفخر، وأجزله عبارة، وأصدقه عاطفة ما قاله
ابن حبناء، وهو من غلاة الخوارج، وأحد أتباع نافع بن
الأزرق؛ يقول مخاطباً أم عاصم، ومفتخراً بشجاعته وثباته
واندفاعه المفرط في سبيل ما يؤمن به ويعتقده^(٢):

دعي اللومَ إنَّ العيشَ ليسَ بدائمٍ
ولا تعجلي باللومِ يا أمَّ عاصمِ
فإنَّ عجلتُ منكِ الملامةُ فاسمعي
مقالةً معنيَّ بحقيقِ عالمِ
ولا تعذلينا في الهديةِ إنما
تكونُ الهدايا من فضولِ المغانمِ
فليسَ يُمهدُ مَنْ يكونُ نهاره
جلاداً ويُمسي ليلاً غيرَ نائم^(٣)

(١) القنابل: جماعات الخيل، والواحدة قنبلة.

(٢) الكامل في اللغة والأدب ٢٩٩/١.

(٣) أي أن يقول إنه يمسي هو في ليلة، ويكون هو في نهاره، لكنه جعل الفعل =

يريدُ ثوابَ اللّهِ يوماً بطعنةٍ
 غموسٍ كشدقِ العنبريِّ بنِ سالمٍ^(١)
 أبيتُ وسربالي دِلاصَّ حصينةً
 ومغفرها والسيفُ فوقَ الحيازِمِ^(٢)
 حلفتُ برَبِّ السواقفينَ عشيةً
 لدى عرفاتٍ حلقةً غيرَ آثمٍ
 لقد كان في القومِ الذين لقيتهم
 بسابورَ شغلٌ عن بروزِ اللطائمِ^(٣)
 توقّدُ في أيديهم زاعبيةً
 ومرهفةً تفري شؤونَ الجماجِمِ^(٤)

* * *

= لَّيْل والنهار، على السَّعة والمجاز.

(١) الغموس: الواسعة. والشدق: الفم. والعنبري بن سالم، رجل من القوم كان يقال له الأشدق.

(٢) الدلاص: الدرع. والمغفر، أيضاً، الدرع. والحيازِم: جمع حيزوم، وهو الصدر.

(٣) سابور، اسم مدينة بفارس، قريبة من اصطخر. وسابور، أيضاً، اسم موضع بالبحرين. واللطائم، جمع لطيمة، وهي الإبل التي تحمل البُرّ والعطر.

(٤) زاعبية، نسبة إلى زاعب، اسم رجل من الخزرج كان يعمل الرماح. وتفري: تقدّ.

(الخيل والليل والبيداء تعرفني)

أبو الطيب المتنبى، شاعر الحكمة والمدح والفخر بلا منازع في العصر العباسي، بل في كل عصر. ولقد تعرض المتنبى في بلاط سيف الدولة الحمداني للحسد والدسائس، مما أغاظه وكدر عليه صفو عيشه، وهو الشاعر الكبير المتعالي، فقال هذه الأبيات التي تعتبر من أروع شعر الفخر قاطبة، ومن أشهره على الإطلاق^(١):

سيعلمُ الجمعُ مَنْ ضَمَّ مجلسُنا
بأنني خيرُ مَنْ تسعى به قدمُ
أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي
وأسمعتُ كلماتي مَنْ به صمم
أنامُ ملءَ جفوني عن شواردها
ويسهرُ الخلقُ جرّاًها ويختصم^(٢)
وجاهلٍ مدّه في جهله ضحكي
حتى أتته يدُ فراسةٍ وفم

(١) ديوان أبي الطيب ص ٣٣٠، طبعة دمشق ١٩٦٠ م.

(٢) شواردها، أي شوارد القوافي.

ومهجة مهجتي من هم صاحبيها
 أدركتها بجوادٍ ظهره حرم
 رجلاه في الركض رجلٌ واليدان يدٌ
 وفعله ما تريد الكف والقدم
 ومرهف سرّت بين الجحفلين به
 حتى ضربت وموج الموت يلتطم
 الخيل والليل والبيداء تعرفني
 والسيف والرمح والقرطاس والقلم
 صحبت في الفلوات الوحش منفرداً
 حتى تعجب مني الغور والأكم^(١)
 كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم
 ويكره الله ما تأتون والكرم
 ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي
 أنا الثريا وذان الشيب والهزم^(٢)

* * *

(فلا تقنع بما دون النجوم)

ومن جيد فخر أبي الطيّب قوله^(٣):

(١) الغور: الأراضي الواطئة المنخفضة. والأكم، ما ارتفع منها.

(٢) الثريا: نجم معروف وهو مجموعة من الكواكب الصغار.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٣٠.

إذا غامرت في شرفٍ مرومٍ
فلا تقنع بما دون النجومِ
فطعمُ الموتِ في أمرٍ حقيرٍ
كطعمِ الموتِ في أمرٍ عظيمٍ

* * *

(فما المجد إلا السيف والفتكة البكر)

ومنه أيضاً^(١):

ولا تحسبنَّ المجدَ زُقا وقينةً
فما المجدُ إلا السيفُ والفتكةُ البكرُ
وتقطيعُ أعناقِ الملوكِ وأن تُرى
لك الهبواتُ السودُ والعسكرُ المجرُ

ومنه أيضاً^(٢):

ولاني لمن قومٍ كأن نفوسهم
بها أنفٌ أن تسكنَ اللحمَ والعظما

ومنه أيضاً^(٣):

وأنفٌ من أخي لأبي وأمي
إذا ما لم أجده من الكرامِ

(١) نفسه ص ١١٤، والزق: وعاء الخمر، والمجر: الكثير العدد.

(٢) نفسه ص ٢١٠.

(٣) نفسه ص ٢١٧.

(كشعرة في مفرقي)

ومنه ، ما قاله في الصغر^(١) :

أَيَّ محلٍّ أرتقي
أَيَّ عظيمٍ أتقي
وكلُّ ما قد خلق الله
وما لم يُخلق
محتقرٌ في همّتي
كشعرة في مفرقي

ومنه كذلك^(٢) :

إن أكنَّ معجباً فعجبٌ عجيبٌ
لم يجد فوق نفسه من مزيدٍ

* * *

(تركنا لأطراف القنا كل شهوة)

ومنه^(٣) :

وغيرُ فؤادي للغواني رميَّةٌ
وغيرُ بناني للزجاج ركابُ

(١) نفسه ص ١٩٠ .

(٢) نفسه ص ٨٩ .

(٣) نفسه ص ٣٧ . والغواني : الحسان .

تركنا لأطراف القنا كل شهوة
فليس لنا إلا بهنّ لعب

* * *

(غريب كصالح في ثمود)

ومنه (١):

مفرشي صهوة الحصان ولكن
قميصي مسرودة من حديد
ما مقامي بأرض نخلة إلا
كمقام المسيح بين اليهود
أنا في أمة تداركها الله
غريب كصالح في ثمود

* * *

===== أبو فراس الحمداني (ت ٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م)

(صبور ولو لم تبق مني بقية)

الشاعر هو أبو فراس الحارث بن سعيد الحمداني ، الأمير
والقائد ، وأحد أبرز شعراء العصر العباسي ، عرف بوجدانياته
و«روميّاته» وهي القصائد التي كان يبعث بها إلى ابن عمه

(١) نفسه ص ٧٠. ونخلة، قرية في بلاد الشام.

سيف الدولة، من مكان أسره في بلاد الروم، وهي تفيض رقة وعاطفة، ولا تخلو من مواقف فخرية كان يعدد فيها الشاعر مناقبه ومآتيه وفضائله. ومن هذا الشعر الفخري الرائع الممزوج بالألم والعتاب، قوله: (١)

إذا الخِلُّ لم يهجرَكَ إلَّا ملالَةٌ
فليسَ له إلَّا الفراقُ عتابُ
إذا لم أجدُ في بلدةٍ ما أريدُه
فعندي لأخرى عَزْمَةٌ وركابُ (٢)
وليس فراقٌ ما استطعتُ فإنَّ يكنْ
فراقٌ على حالٍ فليس إيابُ (٣)
صبورٌ ولو لم تبق مني بقيَّةٌ
قؤولٌ ولو أنَّ السيوفَ جوابُ
وقورٌ وأحداثُ الزمانِ تنوشني
وللموتِ حولي جيئةٌ وذهابُ (٤)
بمن يثقُ الإنسانُ في ما ينوبُه
ومن أينَ للحرِّ الكريمِ صحابُ (٥)

(١) ديوان أبي فراس الحمداني ص ٢٥. طبعة دار البيان. دمشق.

(٢) الركاب: ما يركب من الدواب. والعرامة: القوة والصبر والجِد.

(٣) الإياب: الرجوع والنكوص.

(٤) وقور: ذو وقار وحزم. وتنوشني: تطلبني.

(٥) ينوبه: يصيبه بمكارهه.

تغابيتُ عن قومي فظنُّوا غباوتي
 بمفرقِ أغباننا حصيً وتراب^(١)
 ولو عرفوني بعضَ معرفتي بهم
 إذاً علموا أنني شهدتُ وغابوا
 أنا الجارُّ لا زادي بطيءٌ عليهم
 ولا دونَ مالي في الحوادثِ باب^(٢)
 ولا أطلبُ العوراءَ منهم أصيَّبها
 ولا عَوْرَتي للطالِبين تُصاب^(٣)
 * * *

===== أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ / ١٠٥٨ م)

(ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل)

ومن عيون شعر الفخر وأجوده وأروعه قصيدة أبي العلاء
 المعري اللامية. أما أبو العلاء فهو الشاعر العباسي المشهور،
 شاعر الفلاسفة، وفيلسوف الشعراء، صاحب «رسالة الغفران»

(١) تغابيت: تغافلت.

(٢) أي أنا الجار الكريم الذي لا يضع حداً للبذل والعطاء، ولم يوصد بابه في
 وجه قومه في الشدائد.

(٣) العوراء: العيب، ويريد أن يقول إنه يرى عيوبهم من غير أن يطلبها، وهم
 عاجزون عن التقاط عيب فيه.

و«لزوم ما لا يلزم» و«سقط الزند». ولد بالمعرة، وما لبث أن
فقد نعمة البصر، فنقم على الناس، واتسم شعره بالمرارة
والثورة والتشاؤم. ومع ذلك فلا نعدم أن نجد في شعره لمعاً
من الشعر الفخري الحافل بضروب المعاني الفريدة، حيث
النفس الضخمة الشريفة المتطلعة إلى الدنيا من عل، لما فيها
من فضائل، ولما في الناس من قبح وصغار. يقول أبو العلاء
مفتخراً^(١):

ألا في سبيلِ المجدِ ما أنا فاعلٌ
عفاً وإقدامٌ وحزمٌ ونائلٌ^(٢)
أعندي وقد مارستُ كلَّ خفيّةٍ
يُصدّقُ واشٍ أو يُخيّبُ سائلٌ
تعدُّ ذنوبي عند قومٍ كثيرةٌ
ولا ذنبٌ لي إلّا العلى والفواضل^(٣)
وقد سارَ ذكرِي في البلادِ فَمَنْ لهم
بإخفاءِ شمسٍ ضوؤها متكاملٍ
يهمُّ الليالي بعضُ ما أنا مضمّرٌ
ويثقلُ رَضوى دُونَ ما أنا حاملٌ^(٤)

(١) سقط الزند ص ٥٧ - ٥٩.

(٢) النائل: العطاء.

(٣) الفواضل، جمع فاضلة، وهي الدرجة الرفيعة من الفضل.

(٤) رضى: اسم جبل.

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانه
 لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل
 وأغدو ولو أن الصبحَ صوارمٌ
 وأسري ولو أن الظلامَ جحافلٌ^(١)
 وإني جوادٌ لم يحلَّ لجأه
 ونضويمانٍ أغفلته الصياقل^(٢)
 وإن كان في لبس الفتى شرفٌ له
 فما السيفُ إلا غمدُه والحمائل
 ولي منطق لم يرض لي كُنه منزلي
 على أنني بين السماكين نازل^(٣)
 ولما رأيتُ الجهلَ في الناسِ فاشياً
 تجاهلتُ حتى ظنُّ أني جاهل
 فواعجباً كم يدعي الفضلَ ناقصٌ
 ووا أسفاً كم يُظهرُ النقصَ فاضل

(١) جحافل، جمع جحفل، وهو الجيش الكثير العدد. والصوارم، جمع صارم، وهو السيف.

(٢) النضو: السهم الذي رمي به حتى بلى وفسد. والصياقل، جمع صيقل، وهو الذي يشحذ السيوف ويجلوها.

(٣) السماكان: نجمان معروفان في السماء.

ينافسُ يومي في أمسي تشرّفاً
 وتحسدُ أسحاري عليّ الأصائل^(١)
 وطال اعترافي بالزمانِ وصرفه
 فليستُ أبالي مَنْ تغولُ الغوائل^(٢)
 فلو بأنَّ عَضْدي ما تأسَفَ منكبي
 ولو مات زندي ما بكته الأنامل
 فإنَّ كنتَ تبغي العِزَّ فابْغِ تَوْسَطاً
 فعندَ التناهي يقصرُ المتطاوَل
 تُوقَى البدورُ النقصَ وهي أهلةٌ
 ويدركُها النقصانُ وهي كوامل

* * *

(هي الأيام لا تعطي قياداً)

ومن جيد فخر أبي العلاء قوله^(٣):

أرى العنقاء تكبرُ أنْ تُصَادَا
 فعاندُ مَنْ تطيقُ له عنادا^(٤)

(١) الأصائل: جمع أصيل، وهو الوقت الذي يسبق غروب الشمس.

(٢) تغول: تهلك. والغوائل، جمع غائلة، وهي المهلكة.

(٣) ديوان سقط الزند ص ٦٠ - ٦٤.

(٤) العنقاء: طائر ضخّم أسطوري.

وما نهنتُ عن طلب ولكن
هي الأيام لا تُعطي قيادا^(١)
لي الشرف الذي يطا الثريا
مع الفضل الذي بهر العبادا
وكم عين تؤمل أن تراني
وتفقد عند رؤيتي السوادا
أفل نوائب الأيام وحدي
إذا جمعت كائبها احتشادا^(٢)
ولي نفس تحل بي الروابي
وتأبى أن تحل بي الوهادا
ثمأ لتقبض القمرين كفاً
وتحمل كي تبذ النجم زادا^(٣)
ولو أني حبيت الخلد فرداً
لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت علي ولا بأرضي
سحائب ليس تنتظم البلادا

* * *

(١) نهنت: منعت وكفيت.

(٢) أفل: أبدر وأقطع. ونوائب الأيام: صروفها وأحداثها.

(٣) تبذ: تنافس.

الفخر الجماعي

الفند الزماني

(صفحنّا عن بني ذهل)

ومن جيد شعر الفخر ما قاله الفند، واسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان الحنفي، الشاعر الجاهلي، والفارس الذي شهد حرب بكر وتغلب، وهي التي تعرف بحرب البسوس. يقول الفند مفتخراً بقومه الأشداء، بني حنيفة^(١):

صفحنّا عن بني ذهلٍ
وقلنا القومُ إخوانُ^(٢)
عسى الأيامُ أنْ يرجعن
قوماً كالذي كانوا

(١) ديوان الحماسة ٦/١ - ٧.

(٢) بنو ذهل، قوم من العرب، وفي رواية (عن بني هند) وهي هند بنت مر، أخت تميم.

فلما صرَّحَ الشرُّ
 فأَمسى وهو عُريان^(١)
 ولم يبق سوى العدوانِ
 دَنَاهُمْ كما دانوا^(٢)
 مشيناً مِشْيَةَ اللَّيْثِ
 غَدَوْا والليثُ غضبان^(٣)
 يضربُ فيه توهينُ
 وتخضيعُ وإقران^(٤)
 وطعنِ كَفَمِ الزَّقِّ
 غذا والزَّقُّ ملآن^(٥)
 وبعضُ الحلمِ عند الجهلِ
 للذَّاتِ إذعان^(٦)
 وفي الشرِّ نَجاةٌ حينَ
 لا يُنجيكَ إحسان

(١) صرح: انكشف. وعريان، كناية عن ظهور الشر ووضوحه.

(٢) دَنَاهُمْ: ألزمتهم بدينهم، وقهرناهم.

(٣) غَدَوْا: بكروا. وغضبان، كناية عن الجوع. والليث أشد ما يكون عند الجوع.

(٤) التوهين: التضعيف والتذليل. والإقران: الاسترخاء والتتابع.

(٥) الزق: وعاء الخمر.

(٦) الإذعان: الانقياد. والحلم، خلاف الجهل، وهو العقل والصفح.

حيان بن ربيعة الطائي

(ذوو جدّ إذا لبس الحديد)

وممن افتخر بقومه، بلاغتهم وشجاعتهم، حيان بن ربيعة
الطائي، الشاعر الجاهلي المتقدم. يقول حيان
لقد علمَ القبائلُ أنَّ قومي
ذَوُو جَدِّ إذْ لُبَسَ الحَديدُ
وأنا نِعمَ أحلاسُ القوافي
إذا استعر التنافرُ والنشيد
وأنا نَضْرِبُ الملحَاءَ حتّى
تُؤَلِّيَ والسيوفُ لنا شهوداً^(١)

* * *

وذاك المازني

(ليوث طعان عند كل طعان)

ومن جيد الفخر ورائعه ما قاله وداك بن سنان بن ثميل
المازني، وهو شاعر جاهلي افتخر بقومه بني مازن لما أراد بنو
شيبان صرفهم عن الماء الذي يقال له: سفوان. وفي هذا

(١) ديوان الحماسة ١٠٣/١. والملحاء: الكتيبة العظيمة. وأحلاس:
ملازمون. وقوله: إذا لبس الحديد، كناية عن الاستعداد للحرب.

الفخر نجد الشعر الرائق، الجيد السبك، وعليه من بهاء النظم
والحماسة ما يغري بالإعجاب. يقول ودّاك^(١):

رُوَيْدَ بَنِي شَيْبَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ
تُلاقُوا غَدًا خَيْلِي عَلَى سَفَوَانٍ^(٢)
تلاقوا جياداً لا تحيدُ عنِ الرّوغى
إذا ما غدتْ في المآزِقِ المتداني^(٣)
عليها الكمأة الغُرُّ من آلِ مَازِنٍ
ليوثُ طعانٍ عندَ كلِّ طعانٍ^(٤)
تلاقوهمُ إذْ تعرفوا كيفَ صبرُهم
على ما جنتْ فيهم يدُ الحدثانِ^(٥)
مقاديمُ وصّالون في الرّوعِ خطوهم
بكلِّ رقيقِ الشّفرتينِ يمانٍ^(٦)
إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم
لأيةِ حربٍ أمْ بأيِّ مكانٍ

* * *

(١) ديوان الحماسة ٣٢/١ - ٣٣.

(٢) رويد: مهلاً ورفقاً. وسفوان، اسم ماء قريب من البصرة.

(٣) الرّوغى: الحرب. والمآزق: المضيق.

(٤) الكمأة: جمع كمي، وهو الفارس. والغر: البيض الوجوه.

(٥) الحدثان: صروف الدهر وأحواله.

(٦) مقاديم، جمع مقدم، وهو الكثير الإقدام في الحرب. والرّوع: الحرب ==

(إن الكرام قليل)

هو أبو شريح سموأل بن عاديء الشاعر الجاهلي، من يهود المدينة، وكان جواداً عالي الهمة، وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء، وهو الذي فضل أن يُقتل ابنه، ولم يخفر ذمته مع امرئ القيس الذي أودعه دروعه، فضرب المثل بوفائه. ومن جيد شعر سموأل وأروعه في الفخر بكرم الأخلاق والشهامة والشجاعة قوله^(١):

إذا المرء لم يدنس من اللؤمِ عِرضه
فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ
تُعَيِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
فقلتُ لها إِنَّ الكَرامَ قَلِيل
وما ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجارُنَا
عزیزٌ وَجارُ الأكثرينَ ذلیل
لنا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نَجيرُهُ
مَنيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيل^(٢)

= واللقاء. ورقيق الشفرتين، إشارة إلى السيف. واليمان: المنسوب إلى اليمن.

(١) تاريخ الأدب العربية ٩٢/١ - ٩٣.

(٢) المقصود بالجبل، الحصن الذي كان للسموأل. وكليل: ضعيف.

وقد هَرَّتْ كلابُ الحيِّ مِنَّا
 وشَذَّبْنَا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينَا^(١)
 متى نَنقُلُ إِلَى قَوْمٍ رَحَانَا
 يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا
 نَطَاعُنُ مَا تَرَاحَى النَّاسُ عَنَا
 وَنَضْرِبُ بِالسَّيُوفِ إِذَا غَشِينَا
 بِسَمَرٍ مِنْ قَنَا الْخَطِيءِ لُدُنِ
 ذَوَابِلَ أَوْ بَبِيضٍ يَخْتَلِينَا^(٢)
 نَشُقُّ بِهَا رُؤُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا
 وَنُخْلِهَا الرِّقَابَ فَتَخْتَلِينَا
 وَرُثْنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمْتُ مَعْدُ
 نَطَاعُنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا
 وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ خَرَّتْ
 عَنِ الْأَحْقَاصِ نَمْنَعُ مَنْ يَلِينَا^(٣)
 بِشَبَابٍ يَرُونَ الْقَتْلَ مَجْدًا
 وَشَيْبٍ فِي الْحُرُوبِ مَجْرَبِينَا

(١) القَتَادَةُ: الشُّوْكَةُ.

(٢) السَّمَرُ: صَفَةُ لِلرَّمَاكِ، وَاللُّدُنُ: اللَّيْنَةُ، وَمِثْلُهَا الذَّوَابِلُ.

(٣) الْأَحْقَاصُ: الْخِيَامُ وَأَمْنَعْتُهَا.

ألا لا يجهن أحد علينا
 فنجهل فوق جهل الجاهلينا
 ونحن الحاكمون إذا أطعنا
 ونحن العازمون إذا عصينا
 ونحن التاركون لما سخطنا
 ونحن الآخذون لما رضينا
 وقد علم القبائل من مَعَدٍ
 إذا قُبِبَ بأبطحها بنينا
 بأننا المطعمون إذا قدرنا
 وإننا المهلكون إذا ابتلينا
 وأنا المانعون لما أردنا
 وأنا النازلون بحيث شينا
 ونشرب إن وردنا الماء صفواً
 ويشرب غيرنا كدراً وطينا
 ملأنا البر حتى ضاق عنا
 ونحن البحر نملأه سفينا
 إذا بلغ الرضيع لنا فطاماً
 تخر له الجبابر ساجدينا

* * *

وهو بشامة بن حزن، وأغلب الظن أنه من الشعراء الإسلاميين .
والشاعر هنا يفتخر بقومه بني نهشل، السابقين لكل مكرومة،
والمرخصين نفوسهم في سبيل حياة العزة والشرف والسؤدد.
يقول بشامة^(١):

إنا بني نهشل لا ندعي لأب
عنه ولا هو بالأبناء يشرينا
إن تبتدر غاية يوماً لمكرمة
تلق السوابق منا والمصلينا^(٢)
وليس يهلك منا سيد أبداً
إلا أفتلينا غلاماً سيّداً فينا^(٣)
إنا لَنرخص يوم الرُّوعِ أنفسنا
ولو نسام بها في الأمن أغلينا^(٤)
بيضُ مفارقنا تغلي مراجلنا
نأسوا بأموالنا آثارَ أيدينا^(٥)

(١) ديوان الحماسة ٢٥/١ - ٢٧ .

(٢) تبتدر: تستيق. والمصلين: السابقين .

(٣) أفتلينا: افتطمنا وأخذنا عن الأم .

(٤) نرخص: نجعلها رخيصة. ويوم الروع: يوم الكريهة واللقاء .

(٥) بيض مفارقنا، كناية عن الصفاء والنقاوة من الدم والعيب. ونأسو: نداوي،
وهنا كناية عن الغنى والسطوة .

إني لمنّ معشرٍ أفني أوائلهم
 قيلُ الكُماةُ ألا أينَ المحامونا^(١)
 لو كانَ في الألفِ منّا واحدٌ فدعوا
 من فارسٍ خالهم إياه يعنونا
 إذا الكُماةُ تنحّوا أن يصيبهم
 حدُّ الطّباةِ وصلّناها بأيدينا^(٢)
 ولا تراهم وإنّ جلّت مصيبتهم
 معَ البكاةِ على من مات يبكونا
 ونركبُ الكرّةَ أحياناً فيفرّجه
 عنّا الحفاظُ وأسيافُ تواتينا^(٣)

* * *

حسان بن نشبة

(تركنا لهم شقّ الشمال)

ومن جيد الفخر الجماعي بالقوم والقبيلة ما قاله حسان بن
 نشبة العدوي التيمي^(٤):

(١) الكُماة: الفرسان، جمع كميّ. وهنا يشير إلى أنهم أصحاب نجدة وإقدام.

(٢) الطّباة: جمع طبة، وهي حد السيف.

(٣) الكرّه: الشدة والمكروه. وركوب الكرّه، كناية عن الوقوع فيه والقصد إليه. وتواتينا: توافقتنا.

(٤) ديوان الحماسة ١/ ١٢٤.

أتاني فلم أسرر به حين جاءني
 حديث بأعلى القنيتين عجيب^(١)
 تصاممته لما أتاني يقينه
 وأفرغ منه مخطيء ومصيب^(٢)
 وحُدثت قومي أحدث الدهر فيهم
 وعهدهم بالحداثات قريب
 فإن يك حقاً ما أتاني فإنهم
 كرام إذا ما النائبات تنوب
 فقيرهم مُبدي الغنى وغنيهم
 له ورق للسائلين رطيب^(٣)
 ذلولهم صعب القياد وصعبهم
 ذلول بحق الركابين ركوب^(٤)
 إذا رنقت أخلاق قوم مصيبة
 تصفى لها أخلاقهم وتطيب^(٥)

(١) القنيتين: اسم جبل.

(٢) تصاممته، أي تصاممت عنه، وأظهرت الصمم.

(٣) لهم ورق رطيب، كناية عن الندى والغنى.

(٤) الذلول: السهل الركوب والجانب، كناية عن حسن الخلق، والصعب، خلافه.

(٥) رنقت: كدرت.

ومن يغمروا منهم بفضلٍ فإنهم
إذا ما انتمى في آخرين نجيب^(١)

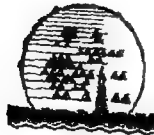
* * *

إبراهيم بن كنيف

(وليس على ريب الزمان معول)

ومن أروع الفخر ما قاله إبراهيم بن كنيف، في نبهان، وهو
شاعر إسلامي يفخر بقوة جلده واحتماله الشدائد والمكاره، ولا
يخلو فخره من الحكمة والمثل، فيقول^(٢):

تَعَزُّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحَرِّ أَجْمَلُ
وليس على ريب الزمان معول^(٣)
فلو كان يُغني أن يرى المرة جازعاً
لحادثة أو كان يُغني التذلل^(٤)
لكان التعزّي عند كل مصيبة
ونائبة بالحرّ أولى وأجمل



(١) النجيب: الفاضل.

(٢) ديوان الحماسة ٨٨/١ - ٨٩.

(٣) المعول: ما يعتمد عليه. وريب الزمان: صرفه.

(٤) يغني: ينفع. وجازعاً: غير صابر.

وأقام العزُّ فينا والغنى
 فلنا فيه على الناسِ الكبر
 نحن أهلُ العزِّ والمجدِ معاً
 غيرُ أنكاسٍ ولا ميلٍ عُسر^(٣)
 فاسألوا عنا وعن أفعالنا
 كلُّ قومٍ عندهم علمُ الخبر
 * * *

(كل دار فيها أب لي عظيم)

ولا يقل هذا الفخر الآخر عن الأول روعة وأداء. يقول
 حسان مفتخراً بخاله وأبيه:

إنَّ خالي خطيبُ جابيةِ الجولانِ
 عندَ النعمانِ حينَ يقومُ
 وهو الصقرُ عند بابِ ابنِ سلمي
 يومَ نعمانٍ في الكبولِ سقيم
 وسطتْ نسبتي الذوائبَ منهم
 كلُّ دارٍ فيها أبٌ لي عظيم
 وأبي في سميحةِ القائلِ الفاصلِ
 يومَ التفتتْ عليه الخصوم

(١) الأنكاس: الضعاف، جمع نكس. والميل، جمع أميل، وهو الذي بلا
 سيف. والعسر، جمع أعسر، وهو الذي يعمل بيسراه.

يفصلُ القولَ بالبيانِ وذو الرأيِ.
مِن القومِ ظالمٍ مَكْمومٍ^(١)
* * *

=====

أبو النجم (١٣٠ هـ / ٧٤٨ م)

(فلئن فخرت بوائِل)

أبو النجم، واسمه الفضل بن قدامة العجلي، أحد رجال
الطبقة التاسعة من الرجاز في العصر الأموي. وربما قصد أبو
النجم، أي قال القصيد، لا الرجز، فأجاد، ومن هذا القبيل
هذه الأبيات المقنطرة من قصيدة له، وهي تعتبر من أروع
ألفخر بالأباء ومناقبهم. يقول أبو النجم^(٢):

فلئن فخرتُ بوائِلٍ فقدِ ابْتَنَتْ
يَوْمَ المِكارِمِ فوقَ كلِّ بناءٍ^(٣)
ولئن خُصِصْتُ بني لجيمٍ إنني
لأُخِصُّ مكرمةً وأهلَ غناءٍ^(٤)

(١) البيان والتبيين ٣٧٤/٢. والمكموم: الذي في فمه الكمامة، فهو لا يستطيع
النطق. وظالم: مائل ومنحرف يهرج في مشيه.
(٢) طبقات الشعراء، ص ٢٢٠.
(٣) وائل، إحدى أشهر قبائل العرب، ومنها بكر وتغلب.
(٤) الغناء: الفضل والخير.

سلي الرماح العوالي عن معالينا
واستشهدي البيض هل خاب الرجافينا
وسائلي العرب والأتراك ما فعلت
في أرض قبر عبيد الله أيدينا
لما سعيئنا فما دقت عزائمنا
عما نروم ولا خابت مساعينا
إذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة
وإن دعوا قالت الأيام آمينا
وللدماء على أثوابنا علق
بنشره عن عبير المسك يغينا^(١)
فيالها دعوة في الأرض سائرة
قد أصبحت في فم الأيام تلقينا
إن لقوم أبث أخلاقنا شرفاً
أن نبتي بالآذى من ليس يؤذينا
بيض صنائعنا سود وقائعنا
خضر مرابعنا حمر مواضينا^(٢)

* * *

(١) النشر: الراححة. والعلق: الدم والنشر.

(٢) الصنائع: الفضائل المعروفة. والوقائع: الأيام والحروب.

الفخر المشترك

طرفة (ت حوالي ٥٥٢ م)

(إذا القوم قالوا من فتى)

طرفة من الشعراء الجاهليين المتقدمين، وأحد أصحاب
المعلقات المعدودين؛ ولقد تضمنت معلقته العديد من
الأغراض الشعرية، وإن منها هذا الفخر الرائع بالجرأة
والشجاعة والنجدة والجود والمنعة والمضاء^(١):

إذا القوم قالوا من فتى خِلْتُ أني
عُنيْتُ فلم أكسل ولم أتبلد
ولست بحلال التلاع مخافة
ولكن متى يسترفد القوم أرفد^(٢)

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٢٤ - ٢٨.

(٢) التلاع: مرتفعات الأرض الكثيرة الماء يسترفد: يطلب الرغد والعون.
وأرفد: أعين وأناصر.

طرفة مفتخراً بمناقب قومه^(١):

سائلوا عنا الذي يعرفنا
بقوانا يومَ تحلاقِ اللَّمَمَ
يومَ تُبدي البيضُ عن أسواقِها
وتلقُ الخيلَ أعراجَ النِّعمِ^(٢)
أجدُرُ الناسِ برأسٍ صلدمِ
حازمِ الأمرِ شجاعٍ في الوغمِ^(٣)
خيرٍ حيٍّ مِن مَعَدٍّ علموا
لِكُفَيٍّ ولجَارٍ وابنِ عمِّ^(٤)
نُقلَ للشَّحمِ في مشَتَاتِنَا
نُحِرَّ لِلثَّيبِ طَرَادُ القُرمِ^(٥)
نزِعُ الجاهلِ في مجلسِنَا
فترى المجلسَ فينا كالحرَمِ^(٦)

(١) ديوان طرفة ص ٧٥ - ٧٧.

(٢) الأسواق، جمع ساق، ما بين الكعب والركبة. والأعراج: قطعان الإبل.
والنعم: الماشية.

(٣) الصلدم: الشديد البأس. والوغم: الحرب الضروس.

(٤) الكفي: الرغيد العيش. ومعد، أحد أجداد العرب الشماليين.

(٥) نقل للشحم، كناية عن الكرم وإطعام الضيف. والمشتاة: محل الإقامة في الشتاء. والنحر: جمع ناحر، وهو ذابح الناقة. والنيب، النياق المسنة.
والقُرم: الشوق إلى اللحم.

(٦) نزع: نردع.

وتفرّغنا من ابني وائلٍ
 هامة الغزّ وخرطوم الكرم^(١)
 حين يحمي الناسُ نحمي سربنا
 واضحي الأوجه معروف الكرم
 نُمسكُ الخيلَ على مكروها
 حين لا يمسكُ إلا ذو كرم
 نذرُ الأبطال صرعى بينها
 تعكفُ العقبانُ فيها والرُخم^(٢)

* * *

الحصين المري

(صبرنا وكان الصبر منا سجيّة)

هو الحصين بن الحمام بن ربيعة المريّ، شاعر جاهلي
 مقدم مقلّ في شعره، ومن الفرسان المعدودين. قيل إن أشعر
 المقلّين ثلاثة: المسيب بن علس والحصين بن الحمام المريّ،
 والمتلمس.

ولقد حفظت الكتب للحصين أبياتاً فخرية هي من أجود

(١) ابنا وائل: بكر وتغلب. وطرفة من بكر، وكانت أمه تغلبية. والخرطوم:
 الأنف.

(٢) تعكف: تستدير. والعقبان والرُخم، من جوارح الطير.

فجاءوا عارضاً برداً وجئنا
 كمثل السيل نركبُ وازعينا^(١)
 تنادوا يا لبهثة إذ رأونا
 فقلنا أحسنى ضرباً جهينا^(٢)
 سمعنا دعوةً عن ظهر غيبٍ
 فجلنا جولةً ثم ارعونا
 فلما أن تواقفنا قليلاً
 أنخنا للكلال كلٍ فارتمينا^(٣)
 فلما لم ندع قوساً وسهماً
 مشينا نحوهم ومشوا إلينا
 شددنا شدةً فقتلُ منهم
 ثلاثة فتيةٍ وقتلُ قينا^(٤)
 فأبوا بالرماح مكسراتٍ
 وأبنا بالسيوف قد انحنينا^(٥)

(١) عارضاً: سحاباً معترضاً في الأفق. والبرد: ما فيه برد. والوازع: من يرتب الجيش ويصلحه.

(٢) تنادوا: نادى بعضهم بعضاً. وبهثة وجهية، بطنان من العرب.

(٣) تواقفنا: وقف كل منا للاستراحة من الحرب. والكلال: الصدور.

(٤) القين: اسم للفارس.

(٥) أبوا: رجموا.

فباتوا بالصَّعِيدِ لهم أَحاحٌ
ولو خَفَّتْ لنا الكلمى سَرِينا^(١)

* * *

قيس بن الخطيم

(فأبت بنفس قد أصبت دواءها)

هو أبو يزيد قيس بن الخطيم، ينتمي إلى بني ظفر من الأوس. من شعراء المدينة، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام ولم يسلم. قتله الخزرج.

وكان رجل من بني حارثة بن الحارث يقال له: مالك، قد قتل الخطيم، والد الشاعر، وهو صغير، فلما بلغ عُمرَ بذلك، ثم أقدم على قتل مالك. وفي الأبيات التالية إشارة إلى ذلك، وهي تعتبر من رائع الفخر. يقول قيس^(٢):

وكنْتُ امرءاً لا أسمعُ الدهرَ سُبَّةً
أسبُّ بها إلا كُشِفَتْ غطاءها^(٣)

(١) الصعید: الظاهر من الأرض. والأحاح: الصوت والأنين. وكلمى: أصابتهم الجراح. وسرينا: سرنا ليلاً.

(٢) الديوان ص ٤٩ - ٥٠. ط ٢. تحقيق ناصر الدين الأسد. دار صادر. بيروت ١٩٦٧ م.

(٣) أي هولا يقبل الطعن على نفسه.

(الواطئين على صدور نعالهم)

ومن جيد المدح في الجاهلية، ما قاله الأعشى، الشاعر
الجاهلي المعروف، وأحد أصحاب المعلقات، واسمه
ميمون بن قيس، يفتخر بقومه الذي ضربوا المثل في السؤدد
والسيادة والشجاعة وإقراء الضيف. يقول الأعشى^(١):

إني امرؤ من عصبه قيسية
شم الأنوف غرائق أحشاد^(٢)
الواطئين على صدور نعالهم
يمشون في الدفني والأبراد^(٣)
والشاريين إذا الدوارع غوليت
صفو الفضال بطارف وتلاد^(٤)
والضامين بقومهم يوم الوغى
للحمى يوم تنازل وطراد

(١) ديوان الأعشى ص ٥١ - ٥٢. دار صادر. بيروت.

(٢) الغرائق: جمع غريق، وهو الشاب الناعم. وشم الأنوف، كناية عن
الرفعة. والأحشاد: المجتمعون.

(٣) الدفني: الثوب المخطط. والأبراد: الأثواب، جمع برد. وهنا يتحدث
الشاعر عن النعمة التي فيها قومه.

(٤) الدوارع: جمع ذروع، وهو البعير. وغوليت: أهلك. والطارف: الجديد
من المال، والتلاد: قديمه.

كم فيهم من فارسٍ يومَ السوغي
 ثَقِفَ اليدين يَهْلُ بالإقصاد^(١)
 وإذا اللقاحُ تروحتْ بأصيلةٍ
 رَتَكَ النعامِ عشيةَ الصراد^(٢)
 حجروا على أضيافهم وشووا لهم
 مِن شَطٍّ مُنْقِيَةٍ وَمِن أَكْبَادِ^(٣)

* * *

(ولا نلعن الأضياف إن نزلوا بنا)

ومن جيد الفخر بالكرم والضيافة، والحلم والوقار، ما قاله
 أيضاً^(٤):

فلا تصرميني واسألني ما خلقتني
 إذا ردَّ عافي القدر من يستعيرها
 إذا احمرَّ آفاقُ أسماءٍ وأعصفتُ
 رياحُ الشتاءِ واستهلَّتْ شهورها

(١) يهل بالإقصاء، أي يصيب بالسهم.

(٢) اللقاح: الإبل الفتية. وتروحت: عادت إلى المراح. والرتك: ضرب من السير. والصراد: الغيم الرقيق.

(٣) حجروا عليهم: ضيقوا عليهم وأبقوهم عندهم. والشط: السنام. والمنقية: السمينة من الإبل.

(٤) الديوان ص ٦٧ - ٦٨.

تَرَيُّ أَنْ قِدْرِي لَا تَزَالُ كَأَنَّهَا
لِذِي الْفُرُوقِ الْمَقْرُورِ أُمَّ يَزُورُهَا
مَبْرَزَةٌ لَا يُجْعَلُ السِّتْرُ دُونَهَا
إِذَا أُخْمِدَ النِّيرانُ لَاحَ بِشِيرُهَا
وَلَا نَلْعُنُ الْأَضْيَافَ إِنْ نَزَلُوا بِنَا
وَلَا يَمْنَعُ الْكُومَاءُ مِنَّا نَصِيرُهَا
وَأَنِّي لَتَرَاكَ الضَّغِينَةَ قَدْ أَرَى
قَذَاهَا مِنَ الْمَوْلَى فَلَا أَسْتِيرُهَا
وَقُورٌ إِذَا مَا الْجَهْلُ أَعْجَبَ أَهْلَهُ
وَمِنْ خَيْرِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ وَقُورُهَا

* * *

عامر بن الطفيل (ت ١٠ هـ / ٦٣١ م)

(فما سودتني عامر عن وراثة)

ومن جيد الفخر وأروعه فخر عامر بن الطفيل، وهو من بني
عامر بن قيس عيلان، وأحد فرسان قومه، بل سيدهم غير
المنازع. عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام، وكان ممن وفد
على النبي ﷺ ومعه أريد أخو لييد، لكنه لم يسلم، وذهب
مغاضباً.

يقول عامر مفتخراً بنفسه البطلة^(١) :

تقولُ ابنةُ العَمريِّ مالِكُ بعدما
أراكِ صحيحاً كالسليمِ المعذبِ^(٢)
فقلتُ لها همي الذي تعرفينه
مِن الثَّارِ في حَيِّي زَيْدٍ وأرحبِ^(٣)
إِنْ أغزُ زَيْداً أغزُ قوماً أعزَّةً
ومركبُهم في الحيِّ من خيرِ مركب
وإنْ أغزُ حَيِّي خُثعمَ فدماءُهم
شفاءٌ وخيرُ الثَّارِ للمتأوِّبِ^(٤)
فما أدركَ الأوتارَ مثلاً محقِّقِ
بأجرَدِ طائرٍ كالعسيبِ المشدَّبِ^(٥)
وأسمَرَ خَطِيٍّ وأبيضَ باتِرٍ
وزغفٍ دلاصٍ كالغديرِ المثوَّبِ^(٦)

(١) زهر الآداب ٨٦/١، والكامل ٩٥/١، والشعر والشعراء، ص ٢٩٥.

(٢) السليم: المملوغ.

(٣) زَيْد وأرحب، حَيَّان من أحياء اليمن.

(٤) المتأوِّب: الذي يأتي لطلب الثَّار.

(٥) الأوتار، جمع وتر، وهو الحقد، والأخذ بالثَّار. والأجرَد: صفة للفرس

المنحسر الشعر. والعسيب: السعفة من النخل.

(٦) الأسمَر، صفة للرمح. والخطي: الرمح المنسوب إلى الخط، وهو البلد

الذي تصنع فيه الرماح. والأبيض الباتر، صفة للسيف. والزغف: الدرع =

واني وإن كنتُ ابنَ سَيِّدٍ عامِرٍ
وفي السِّرِّ منها والصَّريحِ المَهْدَبِ
فما سوَّدتني عامرٌ عن ورائةٍ
أبى الله أن أسمو بأمٍّ ولا أبٍ
ولكنني أحمي جماها وأتقي
أذاها وأرمي مَنْ رماها بمنكبٍ
* * *

(أكرّ عليهم دعلجاً)

ولعامر، مخاطباً زوجته، بيتان من جيد شعر الفخر، قالهما
يوم فيف الرياح، وقد تجمع بنو الحارث بن كعب على بني
عامر وهما:

طلقت إن لم تسألني أيّ فارس
حلبك إذ لاقى صداء وخثعما
أكرّ عليهم دعلجاً ولبانه
إذا ما اشتكى وقع الرماح تحمحم^(١)
* * *

= الدققة النسخ. والدلاس: الدرع اللينة الملساء. والمنوب: الذاهب
والآتي.

(١) ديوان الحماسة ٤٣/١. دعلج، اسم فارس الشاعر. وصداء وخثعم، إسما
قبيلتين عرييتين. واللبان: الصلر. والحمحة: الصهيل.

(وعندك من أيامنا قبلها غير)

ومن جيد ما قاله عامر بن الطفيل، يرد به على زياد، أي
النابعة الذبياني ويفتخر بقومه^(١):

تُعِيرُنَا يَوْمَ الْمَرْوَرَةِ سَادِرًا
وعندك من أيامنا قبلها غَيْرُ^(٢)
فَمَنْ مُبْلَغُ ذَبْيَانَ عَنِّي رِسَالَةً
مُغْلَغَلَةً مِنِّي وَمَا تَنْفَعُ الْعِذْرُ^(٣)
وقد علمتُ علياً هَوَازَنَ أَنَّنَا
بنو الحربِ لَا نَعِيَا بِوَرْدٍ وَلَا صَدْرٍ^(٤)
نَشْدُ عَصَابَ الْحَرْبِ حَتَّى نَدْرَهَا
إِذَا مَا نَفُوسُ الْقَوْمِ طَالَعَتِ الثُّغَرَ^(٥)
تَرَى رَائِدَاتِ الْخَيْلِ حَوْلَ بَيْوتِنَا
أَبَابِيلَ تَرْدِي بِالْعَشِيِّ وَبِالْبُكْرِ^(٦)

* * *

(١) ديوان عامر بن الطفيل ٧٢ دار صادر دار بيروت ١٩٦٣.

(٢) يوم مروارة، يوم مشهور سمي بالموضع الذي كان ظفر فيه بنو ذبيان ببني
عامر. وسادراً: لاهاياً. والغير: صروف الزمان وحوادثه.

(٣) ذبيان، اسم قبيلة عربية. والعذر: الأعذار.

(٤) هوازن: اسم قبيلة عربية. والورد: إتيان الماء. والصدر: الذهاب عنه.

(٥) الثغر: جمع ثغرة، وهي نفرة النحر.

(٦) أبابيل: متفرقة جماعات جماعات.

(وإن يغضب على القوم يغضبوا)

من جيد الشعر في الفخر، شعر حريث بن مخفض
المازني، وهو من الشعراء المخضرمين في الجاهلية
والإسلام. يقول حريث مفتخراً بقومه^(١):

أَلَمْ تَرَ قَوْمِي إِنْ دَعَاهُمْ أَخُوهُمْ
أَجَابُوا وَإِنْ يَغْضَبُ عَلَى الْقَوْمِ يَغْضُبُوا
هُمْ حَفَظُوا غَيْبِي كَمَا كُنْتُ حَافِظاً
لِقَوْمِي أُخْرَى مِثْلَهَا إِنْ تَغَيَّبُوا
بَنُو الْمَجْدِ لَمْ تَقْعُدْ بِهِمْ أُمَهَاتُهُمْ
وَأَبَاؤُهُمْ آبَاءُ صَدِيقٍ فَأَنْجَبُوا^(٢)

* * *

(فما ذاكم عليّ بعار)

ومن جيد فخره بنفسه وبقومه قوله أيضاً^(٣):
وإنْ تَكُْ درعي يومَ صحراءِ كلبِةِ
أُصِيبَتْ فَمَا ذَاكُمُ عَلَيَّ بَعَارٍ

(١) طبقات الشعراء ص ٧٤.

(٢) أنجبوا، أي صار نجباء، وأولدوا أولاداً نجباء خيرين.

(٣) الحيوان ٣/٣٨٩.

أَلَمْ تَكُ مِنْ أَصْلَابِكُمْ قَبْلَ ذَاكُمُ
عَلَى وَقْبَى يَوْمًا وَيَوْمَ سَفَارِ^(١)
وَنَحْنُ طَرْدُنَا الْحَيَّ بِكَرْبَنٍ وَائِلٍ
إِلَى سَنَةٍ مِثْلِ الشَّهَابِ وَنَارِ

* * *

قيس بن عاصم

(وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا)

ومن رائع الفخر ما قاله قيس بن عاصم بن سنان بن خالد
المنقري، وهو من الشعراء المخضرمين المتقدمين، وكان
النبي ﷺ استعمله على صدقات بني سعد. يقول مفتخرًا
بجوده وكرمه وإقراضه الضيف، وهو من فريد المعاني^(٢):

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ
وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ^(٣)
إِذَا مَا أَصَبْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ
أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكُلُهُ وَحْدِي

(١) وقبى وسفار: يومان من أيام العرب.

(٢) الكامل في اللغة والأدب ١/٣٤٥.

(٣) البردين، مثني برد، وهو الثوب. والفرس الورد، الذي له لون الورد.

قصياً كريماً أو قريباً فإنني
أخافُ مذماتِ الأحاديثِ من بعدي
وإني لعبدُ الضيفِ ما دامَ ثاوياً
وما من خلالي غيرها شيمة العبد^(١)

* * *

(خطباء حين يقوم قائلهم)

ومن جيد فخره يذكر مناقب قومه في الخطابة
والبلاغة^(٢):

إنني امرؤ لا يعتري خلقي
دنسٌ يفنِّده ولا أفن^(٣)
من منقرٍ في بيتٍ مكرمةٍ
والأصلُ ينبتُ حوله الغصن^(٤)
خطباء حين يقوم قائلهم
بيضُ الوجوه مصاقعُ لسن^(٥)

(١) غيرها، هنا، استثناء مقدم. والشيمة: الصفة.

(٢) البيان والتبيين ١/ ١٢٤ - ١٢٥.

(٣) يعتري: يصيب. والأفن: نقص العقل، والخرق. ويفنِّده. يظهره.

(٤) منقر، قوم الشاعر.

(٥) مصاقع، جمع مصقع، وهو الحاد اللسان. ومثله اللسن.

لا يفتنّون لِعَيْبِ جَارِهِمْ
وَهُمْ لِحَسَنِ جَوَارِهِمْ فُظُنْ

* * *

ليد (ت ٤١ هـ)

(ضمّن له قراه من الشحوم)

ومن الفخر الجيد الرائع ما قاله لبيد في قومه، ولبيد، كما هو معروف من فحول الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية، وأدركوا الإسلام، وهو من أصحاب المعلقة المشهورين، ويعتبر أحد المعمرين.

يقول لبيد^(١):

فلا وأبيك ما حيّ كحيّ
لجارٍ حلّ فيهم أو عديم
ولا للضيف إن طرقت بليل
بأفنان العِضاء وبالهشيم^(٢)

(١) ديوان لبيد بن ربيعة، ص ١٠٣ - ١٠٦. تحقيق إحسان عباس. وزارة

الإرشاد والأنباء. الكويت ١٩٦٢ م.

(٢) البليل: الريح الباردة. فيها بلل. والعِضاء: الشجر العظام ذات الشوك. والهشيم: ما ييس من الثبت.

ورؤمت اللقأح بغير دَرٍ
 إلى الحجرات تعجلُ بالرسيم^(١)
 إذا ما درها لم يَقرِ ضيفاً
 ضمينُ له قِراهُ من الشحوم
 فلا نتجاوزُ العطلات منها
 إلى البكرِ المقاربِ والكزوم^(٢)
 ولكننا نعَضُ السيفَ منها
 بأسوقِ عافياتِ اللحمِ كُوم^(٣)
 وكم فينا إذا ما المحلُ أبدى
 نحاسَ القومِ من سَمَحِ هضوم^(٤)
 يباري الريحَ ليس بجانبِي
 ولا دفنِ مروءته لثيم
 إذا عُدَّ القديمُ وجدَّت فينا
 كرائمَ ما يُعدُّ من القديم

(١) الدر: اللبن. والرسيم، ضرب من السير. واللقأح: الإبل. واللقأح: الحمل.

(٢) العطلات: الطوال الأعناق. المقارب: الدنيء. الكزوم: الناقة المسنة الهرمة.

(٣) العافيات: كثيرات اللحم. نعَضُ السيف: نضرب به. الكوم: عظام الأسنمة. والأسواق: القوائم.

(٤) نحاس القوم: طبيعتهم. والهضوم: السخي.

وجدت الجاء والآكال فينا
وعادي المائر والأروم^(١)

* * *

(ولكل قوم في النواثب خيم)

وله في قومه^(٢):

قومي أولئك إن سألت بخييمهم
ولكل قوم في النواثب خيم^(٣)
وإذا شتوا عادت على جيرانهم
رجح توقيها مرابع كوم
ولهم جلوم كالجبال وسادة
نجب وفرغ ما جد وأروم
وإذا تواكلت المقانب لم يزل
بالثغر منا منسر وعظيم^(٤)
نسموبه ونفل حد عدونا
حتى نؤوب وفي الوجوه سهوم

(١) الآكال، جمع أكل، وهي الأموال. والعادي: القديم. والأروم: الأصل.

(٢) الديوان ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٣) الخيم: الخلق.

(٤) المقانب: الكتائب. والمنسر: الكتيبة من ثلاثين إلى أربعين رجلاً.

والسهوم: الضمور. والثغر: موضع المخافة.

(ولكلّ قوم سنّة وإمامها)

ومن جيد فخر لبید، ذلك الفخر الذي ضمّنه معلقته المشهورة، وهو يدور حول الشجاعة والسخاء والتمسك بالخلق القويم. يقول لبید مخاطباً نواراً، حبيبته^(١):

أَوَلَمْ تَكُنْ تَدْرِي نَوَارُ بَأْنَنِي
وَصَّالُ عَقْدِ حَبَائِلٍ جَدَّامُهَا^(٢)
تَرَاكَ أَمَكْنَةً إِذَا لَمْ أَرْضُهَا
أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النُّفُوسِ جِمَامُهَا
بَلْ أَنْتِ لَا تَدْرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ
طَلَقِ لِذِيذٍ لَهْوُهَا وَنَدَامُهَا^(٣)
قَدْ بَتَّ سَامِرُهَا وَغَايَةَ تَاجِرٍ
وَأَفَيْتُ إِذْ رَفَعْتُ وَعَزَّ مُدَامُهَا^(٤)
وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْحَيَّ تَحْمِلُ شَكَّتِي
فَرَطْتُ وَشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لَجَامُهَا
فَعَلَوْتُ مَرْتَقِيّاً عَلَى ذِي هَبْوَةٍ
حَرَجْتُ إِلَى أَعْلَامِهِنَّ قَتَامُهَا^(٥)

(١) المعلقات العشر ص ١٠٢ - ١٠٧.

(٢) جذام: قطاع. ويريد بقوله: وصال عقد، أنه لا ينقض العهد، بل يصله.

(٣) طلق: ساكنة لا فيها حرّ ولا برد. وندام: رفاق الشراب.

(٤) المدام: الخمرة، وهنا يفتخر بشربه وماله.

(٥) ذِي هَبْوَةٍ، يريد به فرسه. والقتام: الغبار.

حتى إذا ألقَتْ يداً في كافرٍ
 وأجنَّ عوراتِ الثغورِ ظلامها^(١)
 أسهلتْ وانتصبتْ كجذعٍ منيفةٍ
 جرداءٍ يحصرُ دونها جرّامها^(٢)
 إنا إذا التقتِ المجامعُ لم يزلْ
 منّا لزازٌ عظيمةٌ جشامها^(٣)
 من معشرٍ سنّتْ لهم آباؤهم
 ولكلِّ قومٍ سنّةٌ وإمامها
 إنْ يفرّزوا تلقِ المغافرَ عندهم
 والسّنّ يلمعُ كالكنواكبِ لامها^(٤)
 لا يطبعون ولا يبورُ فعالمهم
 إذ لا يميلُ مع الهوى أحلامها
 * * *

المعجيز السلولي

(إذا ناء منهم كوكب غار كوكب)

من الشعراء الإسلاميين المجيدين، المعجيز بن عبد الله

-
- (١) الكافر: الليل، وأجنّ: ستر. والثغور: المواضع التي يدافع عنها.
 (٢) جرداء: خالية من السعف والليف. والجرّام: من يجرم النخل ويقطع أحماله.
 (٣) لزاز: شديد.
 (٤) اللام، جمع لامة، وهي الدرع. والمغافر: الدروع، جمع مغفر.

السلولي ، وهو في الطبقة الخامسة منهم . له من الفخر الجيد
السهل والجزل معاً ، قوله مفتخراً بنفسه ويقومه^(١) :

خلقتُ جواداً والجوادُ مثابراً
على جريه ذو علةٍ ويسيرُ
فلا توزعيني إنما يوزعُ الذي
به ضَعَفُ أو في القيام فتور^(٢)
ولا تزدريني وانظري ما خلقتني
إذا ضاقَ أمرٌ أو أناخَ أمير^(٣)
فإن بني كعب رجالٌ كأنهم
نجومُ السرى سُدَّتْ بهنَّ ثغور^(٤)
تحلبُ أيديهم نجيعاً ونائلاً
إذا البزلُ لم يصبحَ بهنَّ درور^(٥)
مرّوها بأطرافِ العوالي فأسبلتْ
نجيعاً له تحتَ اللّبانِ خريز^(٦)

(١) طبقات الشعراء ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٢) توزعيني : تمنعيني وتكفيني .

(٣) الخليقة : الطبيعة .

(٤) السرى : السير ليلاً . والثغور : المواضع المتقدمة التي يدافع عنها .

(٥) تحلب ، الأصل : تحلب ، أي تعطي حليباً . والنجيع : الدم . والنائل :
العتاء والبزل ، جمع بازل ، وهي الناقة الشابة .

(٦) مروها : حلبوها . والعوالي : الرماح . واللّبان الصدر .

مقيمين لا تعتادُ إلا وجدتهم
كما بالرحا من صامتين صخور
إذا ناء منهم كوكبٌ غار كوكبٌ
لأنَّ الندى جُمَّ القراعِ مطير^(١)

* * *

قطري بن الفجاءة

(رأت فتية باعوا الإله نفوسهم)

ومن أروع الفخر ما قاله قطري بن الفجاءة، أحد أشهر شعراء الخوارج وخطبائهم المصقعين؛ قال هذا الشعر يوم دولا ب، بين الخوارج والأحنف بن قيس، وهو يعتبر من أصدق الشعر لجهة توقد العاطفة، وفيض النفس العاشقة البطلة. يقول قطري مخاطباً أم حكيم^(٢):

لعمركُ إني في الحياة لَزَاهِدٌ
وفي العيشِ ما لَمْ أَلْقُ أمَّ حكيمٍ
مِنَ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يُرْ مِثْلُهَا
شفاءٌ لِيذِي بَيْتٍ وَلَا لِسَقِيمِ^(٣)

(١) ناء: نزل وهبط وغرب. وجم: كثير.

(٢) الكامل في اللغة والأدب ١/٢١٧ - ٢١٨.

(٣) البث: الحزن.

لعمرُكُ إنني يومَ أَلطمُ وجهَها
 على نائباتِ الدهرِ جدُّ لثيم
 ولو شهدتني يومَ دولا بَ أبصرتُ
 طعانَ فتى في الحربِ غيرِ ذميم^(١)
 غداة طغتْ عُلَماءُ بكرُ بنِ وائلٍ
 وعجنا صدورَ الخيلِ نحوَ تميم^(٢)
 وكان لعبدِ القيسِ أولُ جَدِّها
 وأحلافُها مِن يَحْصُبِ وسليم^(٣)
 وظلَّت جيوشُ الأزْدِ في حَوْمَةِ الوغى
 تقومُ وظلُّنا في الجلاذِ نعوم^(٤)
 فلم أرَ يوماً كان أكثرَ مُقْعَصاً
 يحجُّ دماً مِن فائِظٍ وكليم^(٥)

(١) دولا ب، اسم أعجمي غير منصرف، وينصرف للضرورة الشعرية. وذميم: مذموم.

(٢) علماء: الأصل، على الماء. وهذا جائز، لالتقاء لامين، فتحذف إحداهما استئثالاً للتضعيف، وما بقي يدل على المحذوف.

(٣) عبد القيس، ويحصب وسليم، أسماء قبائل عربية.

(٤) الأزْد، اسم قبيلة عربية، والوغى: الحرب.

(٥) مقْعَصاً، من القعص، وهو الطعن. والفائِظ: الميت. والكليم: المجروح.

وضاربة خذاً كريماً على فتى
أغرّ نجيب الأُمّهات كريم
أصيب بدولاب ولم تك موطناً
نه أرض دولاب ودير حميم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخیلنا
تبيح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الإله نفوسهم
بجنّات عدن عنده ونعيم

* * *

(فصبراً في مجال الموت صبراً)

ومن رائع فخر قطري، وجيده، قوله^(١):
أقول لها وقد طارت شعاعاً
من الأبطال ويحك لن تُراعي^(٢)
فإنك لو سألت بقاء يوم
على الأجل الذي لك لن تُطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً
فما نيلُ الخلود بمستطاع

(١) ديوان الحماسة ٢٤/١ - ٢٥.

(٢) أقول لها، أي للنفس. وشعاعاً: متفرقاً. تراعي: تفزعني.

ولا ثوبُ البقاءِ بثوبِ عزٍّ
 فيُطوى عن أخي الخنعِ اليراع^(١)
 سبيلُ الموتِ غايةُ كلِّ ميٍّ
 فداعيه لأهلِ الأرضِ داعي
 ومن لا يعتبطُ يسأمُ ويهرمُ
 وتسلمُه المنونُ إلى انقطاع^(٢)
 وما للمرءِ خيرٌ في حياةٍ
 إذا ما عُددَ من سقطِ المتاع^(٣)

* * *

(لا يركنن أحد إلى الإحجام)

ومن جيد فخر قطري الحماسي قوله^(٤):

لا يركنن أحدٌ إلى الإحجامِ
 يومِ الوغى متهباً لحمام^(٥)
 فلقد أراني للرماحِ دريئةً
 من عن يميني تارةً وأمامي

(١) الخنع: الذل. واليراع: الجبان.

(٢) يعتبط: يموت من غير علة.

(٣) سقط المتاع: الشيء الذي لا قيمة له.

(٤) زهر الآداب ١٠٢٨/٢.

(٥) الحمام: الموت. والإحجام: التردد والتقهقر إلى الوراء.

حتى خضبتُ بما تحدرّ من دمي
أكناف سرجي أو عنانٍ لجامي^(١)

* * *

(مخرتها بمطايا غارة تخذ)

وحدث أبو حاتم قال: أتيت أبا عبيدة ومعى شعر عروة بن
الورد. فقال لي: ما معك؟ قلت: شعر عروة. قال: شعر
فقير، يحمله فقير، ليقراه فقير. قلت: ما معى شعر غيره،
فأنشدني؟ فأنشده شعر قطري بن الفجاءة، ثم عقب بالقول:
هذا والله هو الشعر، لا ما يتعلل به من أشعار المخانيث.
والشعر الفخري هذا وهو من جيد الفخر وأروع، هو
التالي^(٢):

يا ربُّ ظلِّ عقابٍ قد وقيتُ بهِ
مهري من الشمسِ والأبطالُ تجتلدُ^(٣)
وربُّ يومٍ حمى أرعيت عقوته
خيلي انتشاراً وأطرافُ القنا قُصد
ويومٍ لِهوى لأهل الخفضِ ظلُّ بهِ
لهوي اصطلاء النوى والنارُ تنقد

(١) العنان: الرمن. واللجام: ما يلجم به فم الدابة.

(٢) زهر الآداب ٢/ ١٠٢٧ - ١٠٢٨.

(٣) العقاب: الجبل. وتجتلد: يجلد بعضها بعضاً.

مشهوراً موقفي والحربُ كاشفةُ
 عنها القناعَ وبحرُ الموتِ يطرُد
 وربُّ هاجرةٍ تغليَ مَراجِلُها
 مخرُتُها بمطايا غارةٍ تَخذُ^(١)
 فإنَّ أمتَ حتفٍ أنفي لا أمتَ كمداً
 على الطعانِ وقصرُ العاجزِ الكمدُ^(٢)
 ولم أقل لم أساقِ الموتَ شاربِه
 في كأسِه والمنايا شُرْعُ وُرد

* * *

===== الفرزدق (ت ١١٠ هـ / ٧٣٢ م)

(وأحيا الوئيد فلم يوأد)

أشهر ما ميز الفرزدق هجاؤه، ثم فخره الذي اخترنا منه هذه
 الأبيات والمقطعات التي تعتبر من أروع الفخر وجيده.
 يقول الفرزدق مفتخراً بجده صمصمة الذي لقب بمحيي
 المؤودات، اللاتي كنَّ يدفنُ أحياء^(٣):
 وجدِّي الذي منعَ الوائداتِ وأحيا الوئيدَ فلم يُوأدِ

(١) تخذ: تسرع.

(٢) مات حتف أنفه. إذا مات على فراشه.

(٣) الفرزدق، ص ٨.

(أبي أحد الغوثين)

ويقول مفتخراً في المعنى نفسه:

أبي أحد الغوثين صعصعة الذي
متى تخلف الجوزاء والنجم يُمطر
أجارَ بناتِ الوائدين ومن يُجرُ
على القبرِ يعلمُ أنه غيرُ مخفر^(١)

* * *

(أروني من يقوم لكم مقامي)

ويقول مفتخراً بلوعة متحدية وهو على فراش الموت:

أروني من يقوم لكم مقامي
إذا ما الأمر جَلَّ عن الخطاب
إلى من تفرزعون إذا حثوتم
بأيديكم عليّ من التراب^(٢)

* * *

(يجرّون هذاب اليماني)

ومن رائع فخره قوله في بني قومه بني دارم:

(١) المصدر نفسه ص ٩.

(٢) نفسه ص ٥٦.

بنو دارمٍ قومي نرى جُحزاتهم
 عتاقاً حواشيها رقاقاً نعالها
 يجرون هذابَ اليماني كأنهم
 سيوفٌ جلا الأطباعَ عنها صقالها^(١)

* * *

(أولئك آبائي)

ومن رائع فخره ونادره وأجزله قوله متحدياً جريراً:
 أولئك آبائي فجئني بمثلهم
 إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ^(٢)

* * *

(وتخالنا جناً إذا ما نجهل)

ومن أشهر فخر الفرزدق وأروع قوله مفتخراً بقومه، وبِنفسه
 وشاعريته^(٣):

إن الذي سمك السماء بني لنا
 بيتاً دعائمه أعزُّ وأطول^(٤)

(١) نفسه ص ٧٧. والأطباع: جمع طبع، وهو الصدا. وأنظر: العقد الفريد،

١٩٣/٢ - ١٩٤. ط دار الكتاب العربي.

(٢) الفرزدق ص ٧٩.

(٣) الفرزدق ١٠١ - ١٠٤.

(٤) سمك: رفع.

بيتاً بناه لنا المليكُ وما بنى
 حكمُ السماءِ فإنه لا ينقل
 بيتاً زرارةً محتبٍ بفنائهِ
 ومجاشعُ وأبو الفوارسِ نهشل^(١)
 يلجون بيتَ مجاشعٍ وإذا احتبوا
 برزوا كأنهم الجبالُ المُثل
 الأكثرون إذا يُعدُّ حصاهمُ
 والأكرمون إذا يُعدُّ الأول
 حلُّ الملوكِ لبأسنا في أهلنا
 والسابغاتُ إلى الوغى نتسربل
 أحلامنا تزنُ الجبالَ رزانةً
 وتخالنا جناً إذا ما نجهل
 وهب القصائدُ لي النوابعُ إذ مضوا
 وأبو يزيدَ وذو القروحِ وجرول^(٢)
 والفحلُ علقمةُ الذي كانت له
 حلُّ الملوكِ كلامه لا ينحل

(١) زرارة، ابن عدس، من مشاهير بني دارم قوم الفرزدق. ونهشل ومجاشع: ابنا دارم.

(٢) النوابع: الذبياني، والجمدي، والشيباني. وأبو يزيد، هو المخبل. وذو القروح هو امرؤ القيس. وجرول، الحطيثة.

وأخو بني قيسٍ وهنّ قتلنه
ومهلّهل الشعراء ذاك الأول

* * *

=====بشار بن برد (ت ١٦٦ هـ / ٧٨٣ م)

(إنّا ردى من نحاربه)

يعد بشار بن برد، الشاعر العباسي المميز، أول المولدين،
وآخر المتقدمين من الإسلاميين. ومع أن أصله فارسي، وهو
من الموالي، إلا أنه انتسب إلى قيس عيلان التي افتخر بها،
مدخلًا نفسه فيها، ويدل على ذلك هذه الأبيات الفخرية
الرائعة^(١):

لعلّك تستذني بسيرك في الدجا
أخائقةٌ تُجدي عليك مناقبة^(٢)
من الحيّ قيسٍ قيسٍ عيلانٍ إنهم
عيونُ الندى منهم تُروى محالبه
وسامٍ لمروانٍ وبن دونه الشجا
وهول كلجٍ البحرِ جاشت غواربه^(٣)

(١) ديوان بشار، ص ٣٥. طبعة القاهرة.

(٢) الدجا: الظلام. والمناقب: الفضائل والشمائل.

(٣) غواربه: أمواجه. وجاشت: اضطربت.

أَحَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْمَنَايَا بِنَايَهَا
بَأْسِيافِنَا إِنَّا رَدَى مَن نَحَارِبِهِ
وَمَا زَالَ مِنَّا مَمْسُكٌ بِمَدِينَةٍ
يَرَاقِبُ أَوْ تُغَرِّ تَخَافُ مِرَازِبِهِ^(١)
إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ
مَشِينًا إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ نَعَاتِبِهِ
وَكُنَّا إِذَا دَبَّ الْعَدُوُّ لَسَخِطِنَا
وَرَاقِبْنَا فِي ظَاهِرٍ لَا نَرَاقِبِهِ
رَكِبْنَا لَهُ جَهْرًا بِكُلِّ مَثْقَفٍ
وَأَبْيَضَ تَسْتَسْقِي الدَّمَاءَ مَضَارِبِهِ
وَجَيْشٍ كَجَنْجِ اللَّيْلِ يَرْجَفُ بِالْحَصَى
وَبِالشَّوْلِ وَالْخَطِي حَمَرٍ ثَعَالِبِهِ^(٢)
غَدُونًا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خَدْرِ أَمْهَا
تَطَالُعُنَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجِرْ ذَائِبِهِ
بِضَرْبٍ يَذُوقُ الْمَوْتَ مَن ذَاقَ طَعْمَهُ
وَتَدْرِكُ مِن نَجَّى الْغَرَارِ مِثَالِبِهِ

(١) الثغر: الموضع المتقدم الذي يدافع عنه. والمرازب، جمع مرزبان، وهو

سيد القوم.

(٢) الثعالب، جمع ثعلب، وهو طرف الرمح الداخل في السنان.

كَأَنَّ مِثَارَ النِّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ
وَأَسِيفَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
* * *

مهيار

(أَيْنَ فِي النَّاسِ أَبٌ مِثْلُ أَبِي)

وَمَنْ جَدٍ فَخَرِ مَهْيَارِ الدِّيلِمِيِّ، الشَّاعِرِ الْعَبَّاسِيِّ الْمُحَدَّثِ،
وَهُوَ مِنْ أَصْلِ فَارِسِيٍّ، قَوْلُهُ:

أَعْجَبْتُ بِي عِنْدَ نَادِي قَوْمِهَا
أُمُّ سَعْدَى فَمَضَتْ تَسْأَلُ بِي^(١)
سِرُّهَا مَا عَلِمْتُ عَنْ خَلْقِي
فَأَرَادَتْ عِلْمَهَا مَا حَسْبِي
لَا تَخَالِي حَسْبًا يَخْفُضُنِي
أَنَا مَنْ يُغْنِيكَ عِنْدَ النَّسَبِ
قَوْمِي اسْتَوْلُوا عَلَى الدَّهْرِ فَتَى
وَمَضُوا فَوْقَ رُؤُوسِ الْحَقَبِ
وَأَبِي كَسَرَى عَلَى إِيوَانِهِ
أَيْنَ فِي النَّاسِ أَبٌ مِثْلُ أَبِي^(٢)

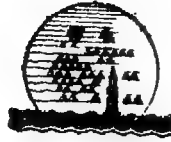
(١) أم سعدى، اسم المرأة التي يحبها.

(٢) الإيوان: القصر الملكي. وكسرى، واحد الأكاسرة ملوك فارس في
القديم.

قد ورثتُ المجدَّ عن خيرِ أبٍ
وورثتُ الدِّينَ عن خيرِ نبي
فضممتُ المجدَّ من أطرافه
سُودَدَ الفرسِ ودينَ العرب^(١)

* * *

(١) السُّودد: الرفعة والمجد.



General Organization of the Alexandria Library (GOAL) مكتبة الإسكندرية تنبيه المصادر والمراجع

- البيان والتبيين، لأبي عثمان الجاحظ. تحقيق فوزي عطوي. دار صعب. بيروت. ١٩٦٨ م.
- تاريخ الآداب العربية، لرشيد يوسف عطا الله. تحقيق علي عطوي. دار عز الدين. بيروت ١٩٨٥ م.
- الحيوان، لأبي عثمان الجاحظ. تحقيق يحيى شامي. ط ١. دار ومكتبة الهلال. بيروت ١٩٨٦ م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي. ط دمشق ١٩٦٠ م.
- ديوان أبي فراس الحمداني. ط دار البيان. دمشق. بدون تاريخ.
- ديوان الأعشى. دار صادر. بيروت. بدون تاريخ.
- ديوان بشار بن برد. ط القاهرة. بدون تاريخ.
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري. ط بيروت ١٩٦٠ م.
- ديوان الحماسة، لأبي تمام. شرح التبريزي. ط ١. دار القلم. بيروت. بدون تاريخ.
- ديوان طرفة بن العبد. شرح مهدي ناصر الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٩٨٧ م.

- ديوان عامر بن الطفيل. دار صادر ودار بيروت. بيروت ١٩٦٣ م.
- ديوان عنترة. دار صادر ودار بيروت. بيروت ١٩٦٦ م.
- ديوان قيس بن الخطيم. تحقيق ناصر الدين الأسد. ط ٢. دار صادر. بيروت ١٩٦٣ م.
- ديوان لبيد بن ربيعة. تحقيق إحسان عباس. وزارة الإرشاد والأنباء. الكويت ١٩٦٢ م.
- زهر الآداب، للحصري. ط ١. تحقيق علي البحاي. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٥٣ م.
- سقط الزند، لأبي العلاء المعري. شرح نزار رضا. دار مكتبة الحياة. بيروت ١٩٦٥ م.
- الشعر والشعراء، لابن قتيبة. ط ٢، دار الثقافة. بيروت ١٩٦٩ م.
- طبقات الشعراء، لابن سلام. طبعة نسخة خطية قديمة مقابلة على نسخة طبع أوروبا.
- العقد الفريد، لابن عبد ربه. شرح خليل شرف الدين. دار ومكتبة الهلال. بيروت.
- الفرزدق، لخليل شرف الدين. دار ومكتبة الهلال. بيروت ١٩٨٢ م.
- الكامل في اللغة والأدب، للمبرد. مكتبة المعارف. بيروت.
- المعلقات العشر، لفوزي عطوي. دار صعب. بيروت ١٩٨١ م.

الفهرس

٥	المقدمة
	الباب الأول
٩	الفخر الذاتي
٩	باعث بن صريم
١١	المنخل اليشكري
١٣	حسيل الضبي
١٥	عروة بن الورد
١٦	سلمى بن ربيعة
١٨	السليك بن السليكة
٢٠	عبيد العنبري
٢١	ثابت شراً
٢٥	عترة
٢٩	أبو كبير الهذلي
٣٢	جابر الطائي
٣٣	عمرو بن معد يكرب
٣٧	ربيعة بن مقروم
٣٩	حطان بن المعلى
٤٠	حاتم الطائي
٤١	عوف بن الأبرص

٤٢ ابن زرارة الكلبي
٤٣ أبو النشاش
٤٥ سعد بن ناشب
٤٦ الطرماح
٤٨ ابن حبناء
٥٠ المتنبى
٥٤ أبو فراس الحمداني
٥٦ أبو العلاء المعري

الباب الثاني

٦١ الفخر الجماعي
٦١ الفند الزماني
٦٣ حيّان بن ربيعة الطائي
٦٣ وذاك المازني
٦٥ السموأل
٦٧ عمرو بن كلثوم
٧٠ الأسلع الطهوي
٧٠ الربيع النضيري
٧١ بشامة بن حزن
٧٣ حسان بن نشبة
٧٥ أبو الطمّحان القيني
٧٥ جزء بن ضرار

٧٧	إبراهيم بن كنيف
٧٨	أبو حية النمري
٧٩	حسان بن ثابت
٨١	أبو النجم
٨٢	القطامي
٨٣	صفي الدين الحلي

الباب الثالث

٨٥	الفخر المشترك
٨٥	طرفة
٨٩	الحصين المري
٩١	عبد الشارق الجهني
٩٣	قيس بن الخطيم
٩٦	الأعشى
٩٨	عامر بن الطفيل
١٠٢	حريث المازني
١٠٣	قيس بن عاصم
١٠٥	لبيد
١٠٩	العجير السلولي
١١١	قطري بن الفجاءة
١١٦	الفرزدق
١٢٠	بشار بن برد
١٢٢	مهيار

هذا الكتاب، وهو واحد من بضعة كتب يتناول كل
منها غرضاً من أغراض الشعر الغنائي، يرمي إلى إطلاع
القارئ على أروع ما جادت به قرائح الشعراء العرب
على امتداد أعصر الأدب العربي، في الفخر. وهو فن
يعبر فيه الشاعر عن ذاته، وإعجابه بنفسه المفطورة على
حب الظهور والتفوق، وإن من أفضله إطلاقاً ذلك الفخر
الذي يشحذ الهمم، ويثير العزم، ويغري بالشجاعة،
ويحرك النفس حافزاً إياها إلى التمسك بالمناقب والقيم
والأخلاق، والنزوع إلى أسمى غايات الخير، وبلوغ
الكمال.

الناشر